

IN ANOTHER LIFE

LOADING HUMAN CONSCIOUSNESS

RENDER ATTEMPT FAILED

RECOMPILING IDENTITY

DATA CONFLICT

REALITY BUFFERING

OVERWRITE IN PROGRESS

MEMORY FRAGMENT
//CORRUPTED

SIMULATION INTEGRITY

30%

COLLAPSING TIMELINE

```
0x00000000 0xFF2A3B01  
! 0x7F6A3B2C 0xDEADBEEF  
0x0000 0xB0F0B210BEE  
000 0x00000009 9B3 0x00000051  
003 0x000000 0xB000 0x00000000  
0xF8A300 0x0C4000 0x0EA33000  
0009 0xDEAD0005 0x0C233005  
! 0x0000000000 0xDEAD0000 0x0  
0x000000 0xDEAD0000  
0000 0x000000 0xDEAD0000  
0x00000000 0x00000000  
0x00000000 0x00000000
```

In Another Life

في عالم آخر

JAMES GOLD

الإهداء

إلى
"شام"
وإلى
كل
"باسم"

لم يصل في الوقت المناسب في أي عالم... إلا هذا العالم

Contents

العالم الذي سقط من بين الصفحات.....	7
الرجل الذي كتب الرواية قبلي.....	21
دفتر شام.....	37
فرنسا، قبل أن تبدأ القصة.....	53
الأحلام التي لا تخصني.....	60
اللقاء الذي لم يحدث بعد.....	68
الرجل الذي يقف خلف المستقبل.....	77
عندما بدأ كل شيء ينهار.....	85
حين يقترب الصوت من صاحبه.....	93
ما قبل الأصل.....	102
فرنسا 2026.....	112
ما الذي يكتب من يكتب كل شيء.....	122
اللحظة التي لا تعود بعدها الأكوان.....	133
النسخة التي لم تهرب.....	142

مقدمة

إذا وصلت هذه الرواية إليك يا شام، فهذا يعني أن شيئاً واحداً على الأقل سار كما توقعت. لا أعرف إن كنت ستكملين القراءة، ولا أعرف إن كنت ستصدقين كلمة واحدة مما سأكتبه. في الحقيقة، لو كنت مكانك لما صدقت نفسي أيضاً. لكن ذلك لا يغير شيئاً، لأنني لم أكتب هذه الصفحات كي أصدق، بل كتبتها لأنني لم أعد أحتمل الاحتفاظ بكل هذا وحدي.

اسمي باسم، أو هذا ما أدعى به في هذا العالم. أما في العوالم الأخرى فقد حملت أسماء كثيرة، أكثر مما يستطيع إنسان تذكره، وأكثر مما يستطيع عقل سليم تحمّله. لم أعد متأكداً من عدد الحيوانات التي عشتها، ولا من عدد المرات التي متت فيها، لكنني متأكد من شيء واحد فقط: أنني رأيتك أكثر مما رأيت نفسي.

أنا أكتب هذه الكلمات من داخل زنزانية. على الأقل أظن أنها زنزانية. هناك باب حديدي، وجدران رمادية، ونافذة صغيرة لا تسمح لي برؤية شيء سوى قطعة ضئيلة من السماء. لكنني لم أر سجيناً غيري منذ سنوات، ولم أر سجاناً أيضاً. ولهذا بدأت أشك أن المكان ليس سجنًا أصلاً، وربما كان شيئاً آخر، شيئاً لا أملك اسماً له، مكاناً عالقاً بين عالم انتهى وعالم لم يبدأ بعد.

منذ وقت طويل حدث أمرٌ غريب. استيقظت ذات ليلة وأنا أتذكر حياة كاملة لم أعشها. لم تكن حلماً، ولم تكن هلوسة، بل كانت ذكرى حقيقية لرجل يشبهني، يحمل وجهي وصوتي وأفكاري، لكنه لم يكن أنا. وفي تلك الذكرى كانت هناك فتاة اسمها شام. ظننت في البداية أن الأمر مجرد حلم عابر، ثم جاءت ذكرى ثانية، وثالثة، وعاشرة، ومئة، وألف، ومليون.

وفي كل مرة كنت أجدك هناك. بوجه مختلف، وعمر مختلف، وحياة مختلفة. مرة كنت رسامة تعيش قرب البحر، ومرة طبيبة تعمل في مدينة لا تنام، ومرة موسيقية تعزف في محطة قطار، ومرة لصنة محترفة تهرب من الشرطة، وفي إحدى المرات كنت قطعة بيضاء سيئة الطباع سرقت سمكة من قطعة سوداء كانت تشبهني بشكلٍ مثير للسخرية. ومع ذلك، مهما اختلفت، كنت دائماً أنت.

الأغرب من ذلك أن هناك شيئاً لم يتغير أبداً. لم يتغير عبر القرون، ولا عبر العصور، ولا عبر ملايين الاحتمالات. في كل مرة أراك فيها للمرة الأولى، وفي كل عالم، كنتُ أقول الجملة نفسها دون أن أعرف السبب": **كأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة**".

لا أعرف لماذا عشرون سنة تحديداً. ولا أعرف لماذا كانت كل نسخة مني تقولها. لكنني أعرف أن كل نسخة منك كانت تتوقف للحظة بعد سماعها، كأن الجملة تطرق باباً قديماً داخل روحك، باباً تعرفينه ولا تتذكرين أين رأيته من قبل. كان هناك دائماً شيء مألوف بيننا، شيء أكبر من الصدفة وأقدم من الذاكرة.

بعد سنواتٍ من البحث، وبعد عددٍ من الحيوانات يكفي لإصابة أي إنسانٍ بالجنون، بدأتُ أجمع القصص. قصةً بعد أخرى. عالماً بعد عالم. حياةً بعد حياة. رأيثُ تقريباً كل النسخ الممكنة. رأيثُ النهايات السعيدة التي انتهت بمأساة، والنهايات الحزينة التي انتهت بصمت، ورأيثُ طرقاً لا تُحصى خسرتنا فيها بعضنا. لكن وسط كل ذلك اكتشفت شيئاً أربكني أكثر من أي شيء آخر.

لقد رأيثُ كل النسخ تقريباً... إلا نسخة واحدة.

نسخةً واحدة لم أصل إليها. نسخةً واحدة لا تظهر في أي ذكرى، ولا في أي حلم، ولا في أي عالم مررتُ به. نسخةً واحدة ظلت غائبة عني رغم أنني قضيت سنواتٍ أبحث عنها بين ملايين الحيوانات.

ولهذا أكتب هذه الرواية.

لأنني أعتقد أن تلك النسخة تقرأ الآن.

وأظن أن اسمها... شام.

الفصل الأول

العالم الذي سقط من بين الصفحات

أول مرة رأيتُ شام لم تكن في هذا العالم.

وهذه ليست جملةً مجازيةً، ولا محاولةً لجعل القصة أكثر غرابة. بل هي الحقيقة الوحيدة التي ما زلتُ أو من بها رغم كل ما حدث.

المشكلة أنني لم أعد واثقًا من معنى الحقيقة أصلًا.

لم أعد أعرف أين تنتهي الذكرى ويبدأ الحلم.

ولا أين ينتهي الحلم ويبدأ عالمٌ آخر.

كل ما أعرفه أنني كنتُ سجينًا عندما بدأت القصة.

أو هكذا كنتُ أعتقد.

كانت الزنزانة صغيرة، باردة، وصامتة إلى درجة تجعل الإنسان يسمع أفكاره وهي تتقدّم نحوه في الظلام.

لم يكن لديّ ما أفعله سوى الكتابة.

والتذكّر.

وخسارة عقلي بالتدريج.

ثم حدث شيء لم أجد له تفسيرًا حتى الآن.

في إحدى الليالي استيقظتُ فجأة وأنا ألهث.

كأنني كنتُ أركض.

كأنني نجوتُ لتوّي من حادث.

كأنني عدتُ من مكانٍ بعيدٍ جدًّا.

لكلني لم أكن قد غادرت الزنزانة أصلاً.

عندما أغمضتُ عينيّ مرةً أخرى رأيتها.

لم تكن صورة.

ولم تكن حلمًا.

كانت ذكرى كاملة.

شارعٌ طويل.

أشجارٌ تتمايل تحت المطر.

مقهى صغير مضاء بلونٍ ذهبيّ دافئ.

وفتاة تجلس قرب النافذة.

ترسم.

الغريب أنني أتذكّر أنها كانت ترسم قبل أن أتذكّر ملامحها.

كان الفن وصل قبلها.

ثم وصلت هي.

كانت تضع دفتر رسمٍ كبيرًا أمامها.

وتنظر إلى العالم كما لو أنها تحاول إعادة اختراعه.

الفنانون يفعلون ذلك دائماً.

لا يرسمون ما يرونه.

بل ما يتمنون لو كان موجوداً.

وفي تلك الذكرى كنتُ أجلس في الطاولة المقابلة.

أكتب شيئاً داخل دفترٍ قديم.

ثم رفعتُ رأسي.

ورأيتها.

لأول مرة.

وفي اللحظة نفسها شعرتُ بشيءٍ غريب.

شيءٍ مألوفٍ إلى درجةٍ مخيفة.

كأنني لا أرى شخصاً جديداً.

بل أستعيد شخصاً ضاع مني منذ زمنٍ طويل.

شخصاً خرج من حياةٍ قديمة وجلس أمامي فجأة.

نهضتُ دون أن أفكر.

اقتربتُ من طاولتها.

نظرتُ إلى الرسمة.

ثم قلتُ الجملة نفسها التي سأقولها لاحقاً في ملايين العوالم الأخرى:

"كأننا نعرفُ بعضنا منذُ عشرين سنةً".

رفعت رأسها ببطء.

نظرت إليّ.

ثم ضحكت.

لم تكن ضحكة سخريّة.

بل ضحكة شخصٍ فوجئ بشيءٍ غير متوقّع.

وقالت:

"هذه أغرب طريقةٍ للتعرف سمعتها في حياتي".

فأجبتها:

"والأغرب أنني لم أخطئ لقولها".

صمتت لثوانٍ.

ثم قالت شيئاً لن أنساه أبداً:

"الغريب... أنني شعرتُ للحظةٍ أنني سمعتها من قبل".

وفي تلك اللحظة انتهت الذكرى.

اختفى المقهى.

اختفى المطر.

اختفت شام.

وعادت الجدران الرماديّة.

وعادت الزنّانة.

وعاد الصمت.

جلستُ ساعاتٍ أحتق في الأرض.

أحاول إقناع نفسي بأنها كانت مجرد هلوسة.

لكن شيئاً في داخلي كان يعرف الحقيقة.

كان يعرف أن ما رأيته لم يكن حلمًا.

وأن الفتاة التي اسمها شام موجودة في مكانٍ ما.

في عالمٍ ما.

وفي الليلة التالية عادت الذكرى.

لكنها لم تكن الذكرى نفسها.

مدينة أخرى.

سماء أخرى.

حياة أخرى.

وشام أخرى.

ومع ذلك...

عندما رأيته للمرة الأولى قلتُ الجملة نفسها.

"كأَنَّنا نَعْرِفُ بَعْضَنا مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً".

ثم بدأت الذكريات تتكاثر.

عالمًا بعد عالم.

حياةً بعد حياة.

ونهايةً بعد نهاية.

في بعض العوالم كنّا أصدقاء.

وفي بعضها كنّا غريبين.

وفي بعضها أحببتنا.

وفي بعضها كرهتني.

وفي بعضها متنا معًا.

وفي بعضها لم نلتق أصلًا.

لكن شيئًا واحدًا لم يتغيّر أبدًا.

الجملة.

دائمًا الجملة نفسها.

"كَأَنَّنا نَعْرِفُ بَعْضَنا مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً".

ومع مرور السنوات بدأت ألاحظ شيئًا أكثر غرابة.

في بعض العوالم...

كانت شام تنظر إليّ وكأنها تعرف أكثر مما يجب.

وكانها هي الأخرى تتذكّر.

وكانها تخفي سرًّا لا تريد قوله.

وفي إحدى الذكريات، قبل أن تختفي بلحظات، نظرت إليّ وقالت:

"هل سبق أن شعرت أنك تبحث عن شخصٍ لا تتذكره؟"

سألتها:

"ماذا تقصدين؟"

فابتسمت ابتسامةً حزينة.

وقالت:

"لا شيء".

ثم أضافت بصوتٍ خافت:

"فقط أشعر أحياناً أن هناك شخصاً أعرفه منذ عشرين سنة"...

ثم توقفت.

وانتهت الذكرى.

وعندما فتحتُ عينيّ داخل الزنزانة وجدتُ شيئاً لم يكن موجوداً من قبل.

ورقةً صفراء قديمة.

موضوعةً بجانب سريري.

التقطتها ببطء.

نظرتُ إلى الكلمات المكتوبة عليها.

فتجمّد الدم في عروقي.

لأن الخط كان خطّي.

لكنني لم أكتب تلك الكلمات.

وكانت الجملة الوحيدة المكتوبة على الورقة تقول:

"تَوَقَّفْ عَنِ الْبَحْثِ فِي الْعَوَالِمِ السَّابِقَةِ... النُّسْخَةُ الْأَخِيرَةُ لَمْ تَبْدَأْ قِصَّتَهَا بَعْدَ".

التقطت الورقة مرةً أخرى.

قلبُها بين أصابعي.

ثم قرأتُ الجملة للمرة الخامسة.

ثم العاشرة.

ثم ربما للمرة الخمسين.

لكن الكلمات لم تتغيّر.

ولم تصبح أقل غرابة.

"تَوَقَّفْ عَنِ الْبَحْثِ فِي الْعَوَالِمِ السَّابِقَةِ... النُّسْخَةُ الْأَخِيرَةُ لَمْ تَبْدَأْ قِصَّتَهَا بَعْدَ".

كان الخط خطّي.

ليس مشابهاً لخطّي.

بل خطّي فعلاً.

بنفس الميلاَن البسيط في الحروف.

ونفس الطريقة التي أكتب بها حرف النون.

ونفس الخطأ الصغير الذي أرتكبه دائماً عندما أكتب بسرعة.

جلستُ على حافة السرير.

أحدق في الورقة.

ثم فعلتُ ما أفعله دائماً عندما أعجز عن فهم شيء.

بدأتُ أبحث.

فتحتُ الدفتر الأول.

ثم الثاني.

ثم الثالث.

ثم عشرات الدفاتر المكسّسة داخل الزنزانة.

كانت كلها مليئة بالقصص.

مليئة بالعوالم.

مليئة بنسخٍ مني.

ونسخٍ منها.

أحياناً كنت أدون الأسماء.

وأحياناً المدن.

وأحياناً النهايات فقط.

كأنني أحاول إنشاء خريطةٍ لشيءٍ أكبر من قدرتي على الفهم.

مرّت ساعات.

أو ربما دقائق.

داخل هذا المكان لم يعد للوقت معنى حقيقي.

ثم وجدتها.

في أحد الدفاتر القديمة.

في صفحة كنت متأكدًا أنني لم أرها من قبل.

كان هناك رقم واحد فقط.

مكتوب في منتصف الصفحة.

14,000,001

تجمّدتُ.

لأنني كنت أعرف هذا الرقم.

أو بالأحرى...

كنت أعرف ما يعنيه غيابه.

لقد أمضيتُ سنوات أرقم العوالم.

من الأول.

إلى الثاني.

إلى العاشر.

إلى الألف.

إلى المليون.

حتى توقفت عند أربعة عشر مليون عالم تقريبًا.

لكن هذا الرقم...

لم يظهر أبدًا.

كأنه كان ينتظرني.

كأنه كان مخفيًا عمدًا.

كأنه باب لم يُفتح بعد.

أغلقْتُ الدفتَر ببطء.

وشعرتُ لأول مرة منذ سنوات بشيءٍ لم أشعر به داخل هذه الزنزانة.

الخوف.

ليس الخوف من السجن.

ولا من الجنون.

ولا من الذكريات.

بل الخوف من المجهول.

لأن جميع العوالم التي رأيتها كانت تنتمي إلى الماضي.

أما هذا...

فكان ينتمي إلى شيءٍ لم يحدث بعد.

في تلك الليلة لم أنم.

جلستُ قرب النافذة الصغيرة.

أراقب قطعة السماء المعتادة.

وأفكر.

إذا كانت هناك نسخة أخيرة...

فلماذا لم أرها؟

وإذا كانت موجودة فعلاً...

فلماذا حُجبت عني وحدها؟

وإذا كانت أهم من كل النسخ الأخرى...

فماذا يجعلها مختلفة؟

عندما بدأت الشمس تتسلل عبر النافذة...

حدث شيء لم يحدث من قبل.

وصلتني ذكرى جديدة.

لكنها لم تكن كأني ذكرى رأيتها سابقاً.

كانت ضبابية.

غير مكتملة.

كان شخصاً ما مَرَّق نصفها.

رأيتُ شارِغاً.

ثم اختفى.

رأيتُ بحرًا.

ثم اختفى.

رأيتُ مكتبة صغيرة.

ثم اختفت.

ورأيتُ امرأة.

لكنني لم أستطع رؤية وجهها.

كلما حاولت الاقتراب منها...

تلاشت الصورة.

كأن العالم نفسه يرفض أن يسمح لي برؤيتها.

لكنني استطعتُ رؤية شيءٍ واحد.

كانت تحمل دفتر رسم.

ثم سمعتُ صوتًا.

صوتًا بعيدًا.

كأنه قادم من نهاية نفق طويل.

صوت امرأة.

هادئ.

ومتعب.

ودافئ بطريقة غريبة.

قالت:

"أشعر أحيانًا أنني أعرف شخصًا لم أقابله أبدًا".

ثم انتهت الذكرى.

فجأة.

كما بدأت.

وقبل أن أستوعب ما حدث...

سمعتُ صوتًا خلفي.

صوتًا حقيقياً هذه المرة.

داخل الزنزانة.

لأول مرة منذ سنوات.

تجمدتُ في مكاني.

ببطء شديد استدرتُ نحو الباب الحديدي.

وكان هناك شيء ينتظرنني.

شيء لم يكن موجودًا قبل لحظة واحدة.

ورقة جديدة.

مثبتة على الباب.

وعليها جملة واحدة فقط:

"لقد بدأت تتذكرها".

الفصل الثاني

الرَّجُلُ الَّذِي كَتَبَ الرِّوَايَةَ قَبْلِي

لم أنم بعد ذلك.

ليس لأنني لم أستطع.

بل لأن النوم أصبح أقلَّ غرابةً من الاستيقاظ.

أمامي ورقتان.

الأولى تقول:

"تَوَقَّفْ عَنِ الْبَحْثِ فِي الْعَوَالِمِ السَّابِقَةِ ... النُّسْخَةُ الْأَخِيرَةُ لَمْ تَبْدَأْ قِصَّتَهَا
بَعْدَ".

والثانية تقول:

"لَقَدْ بَدَأَتْ تَتَذَكَّرُهَا".

أما المشكلة الحقيقية...

فهي أنني لم أكن أتذكرها أصلاً.

أنا لم أرَ وجهها.

لم أعرف اسم المدينة.

لم أعرف الزمن.

كل ما رأيته كان بحرًا.

ومكتبة.

ودفتر رسم.

وصوت امرأة تقول إنها تشعر بأنها تعرف شخصًا لم تقابله أبدًا.

فكيف أكون قد بدأت أتذكرها؟

ومن الذي يترك هذه الرسائل؟

ولماذا يعرف عني أكثر مما أعرف عن نفسي؟

في الصباح فتحتُ جميع دفاتري.

كدستها فوق الأرض.

ثم بدأت أقرأ.

صفحةً بعد صفحة.
وعالمًا بعد عالم.
أبحث عن شيءٍ واحد.
أي إشارة.
أي خيط.
أي تفصيل تكرر أكثر مما يجب.
بعد ساعات طويلة بدأت ألاحظ أمرًا غريبًا.
في آلاف العوالم المختلفة كانت هناك أشياء تتغير باستمرار.
الأسماء تتغير.
المدن تتغير.
الأعمار تتغير.
اللغات تتغير.
حتى أشكالنا كانت تتغير أحيانًا.
لكن بعض الأشياء بقيت ثابتة.
ثابتة بشكل يثير القشعريرة.
في عالمٍ كنتُ شاعرًا.
وكانت شام عازفة كمان.
في عالمٍ آخر كنتُ بائع كتب.
وكانت رسامة.
في عالمٍ ثالث كنتُ بحارًا.
وكانت معلّمة أطفال.
وفي عالمٍ رابع لم نكن بشرًا أصلًا.
ومع ذلك...
كان هناك دائمًا شيء مشترك.

البحر.

لم أفهم الأمر في البداية.
لكنني كلما قرأت أكثر...
وجدت البحر في كل مكان.
أحياناً قريباً.
أحياناً بعيداً.
أحياناً مجرد نافذة تطل عليه.
وأحياناً ذكرى قديمة.
لكن وجوده كان يتكرر أكثر مما ينبغي.
ثم وجدت شيئاً آخر.
شيئاً أكثر غرابة.
المكتبة.
في آلاف القصص المختلفة ظهرت مكتبة ما.
مرةً كبيرة.
مرةً صغيرة.
مرةً محترقة.
مرةً مهجورة.
مرةً داخل محطة قطار.
ومرةً فوق سفينة.
لكنها كانت موجودة دائماً.
عندها بدأتُ أشعر بأنني لا أقرأ ذكريات.
بل ألغازاً.
ألغازاً تركها شخص ما عمداً.
وعندما وصلتُ إلى أحد الدفاتر القديمة جداً...
سقطتُ منه ورقة مطوية.
لم أتذكر أنني رأيتها من قبل.
فتحتها ببطء.
وتجمد الدم في عروقي.
كانت صفحة من رواية.
ليست روايتي.

وليس مكتوبة بخطي.

لكن اسم البطل كان:

باسم.

واسم البطلة كان:

شام.

جلستُ بسرعة.

وبدأت القراءة.

"إذا كنتَ تقرأ هذه الكلمات يا باسم...

فهذا يعني أنك وصلت إلى هذه الصفحة متأخرًا جدًا".

شعرتُ بقشعريرة تسري في ظهري.

أكملت القراءة.

"أعرف ما ستشعر به الآن.

ستظن أن شخصًا يراقبك.

وستظن أن شخصًا دخل الزنزانة.

وستظن أن هذه الورقة رسالة.

لكن الحقيقة أغرب من ذلك بكثير".

توقفت.

نظرت حولي.

ثم عدت إلى الورقة.

"لأنني لست شخصًا آخر".

ازدادت ضربات قلبي.

"أنا أنت".

ساد الصمت.

حتى أنني سمعت صوت أنفاسي.

"أو بالأحرى..."

أنا نسخة منك".

بدأت يداي ترتجفان.

"نسخة سبقتك".

ثم جاءت الجملة التي غيّرت كل شيء.

"وأنت لست أول باسم يصل إلى هذه الزنزانة".

أعدت قراءة السطر.

مرة.

ومرتين.

وعشر مرات.

لكن الكلمات لم تتغير.

إذا كان هذا صحيحًا...

فمعنى ذلك أنني لست أول سجين هنا.

ولست أول من يرى العوالم.

ولست أول من يكتب عن شام.

فكم نسخة جاءت قبلي؟

وكم نسخة فشلت؟

تابعت القراءة.

"ستحاول معرفة عددنا.

لا تفعل.

لقد حاولت قبلك.

والنتيجة كانت أسوأ مما تتخيل".

ثم:

"هناك شيء أهم".

"شام".

شعرتُ بأنفاسي تتوقف للحظة.

"أنت ما زلت تعتقد أنك تبحث عنها".

"لكن الحقيقة..."

وتوقفت الكلمات.

بقية الصفحة كانت ممزقة.

نهضت بعنف.

بدأت أبحث في الأرض.

بين الدفاتر.

تحت السرير.

داخل الصندوق الحديدي.

في كل مكان.

أبحث عن الجزء المفقود.

لكنني لم أجده.

لم يبقَ من الرسالة سوى الجملة الأخيرة.

كانت مكتوبة أسفل الصفحة.
بخط أكبر من بقية الكلمات.
وكان الكاتب أراد التأكد من أنني سأراها.

"حين تجد الرواية التي كُتبت قبل أن تكتبها... اهرب".

رفعت رأسي ببطء
لأن شيئاً مرعباً خطر ببالي فجأة.
ماذا لو كانت هذه الرواية...
التي أكتبها الآن...
ليست الأولى؟
وماذا لو أنني لست الكاتب أصلاً؟
وماذا لو كنت مجرد شخصية أخرى...
داخل رواية كتبها باسم آخر قبلي؟
وفي تلك اللحظة بالتحديد...
سمعت صوت تقليب صفحات.
داخل الزنزانة.
ولم أكن أنا من يقلبها.

تجمدتُ في مكاني.
لم يكن داخل الزنزانة سوى أنا.
أنا والسريير الحديدي.
والطاولة القديمة.
والدفاتر التي قضيت سنوات أملؤها بالقصص والذكريات.
لم يكن هناك مكان يختبئ فيه أحد.
ومع ذلك...
كان الصوت موجوداً.
صوت صفحة تُقلب ببطء.
ثم صفحة أخرى.
ثم ثالثة.

كان شخصًا يجلس في مكانٍ ما ويقرأ حياتي.

بقيتُ أستمع.

لا أتحرك.

لا أتنفس تقريبًا.

حتى اختفى الصوت فجأة.

عندها فقط اندفعتُ نحو الدفاتر الملقاة على الأرض.

بدأتُ أفتش بينها بعصبية.

دفتريًا بعد آخر.

صفحة بعد أخرى.

حتى رأيتُه.

دفتريًا أسود.

لم أره من قبل.

كنت متأكدًا من ذلك.

أعرف كل شيء في هذه الزنزانة.

أعرف عدد الشقوق في الجدران.

وأعرف أماكن الصدا فوق الباب الحديدي.

وأعرف ترتيب دفاتري كما أعرف اسمي.

لكن هذا الدفتري...

لم يكن هنا أمس.

التقطته ببطء.

كان قديمًا.

قديمًا إلى درجة جعلت أوراقه تميل إلى الاصفرار.

لكن الغريب أن الغبار كان يغطي كل شيء حوله إلا هو.

كان أحدًا وضعه هنا قبل دقائق.

فتحت الصفحة الأولى.

وشعرتُ بأن شيئًا باردًا مرَّ في ظهري.

كان اسمي مكتوبًا في الأعلى.

باسم.

وأسفله جملة قصيرة:

"إذا وصلت إلى هذا الدفتري، فأنت متأخر أكثر مما ينبغي".

أغلقتُ عيني لثانية.

ثم فتحتهما من جديد.
كانت الجملة ما تزال هناك.
فأكملت القراءة.
"قبل أن تكمل، أجب عن سؤال واحد."
"كم مرة رأيتها؟"
ابتسمت بسخرية.
رغم كل شيء.
رغم الخوف.
ورغم الجنون.
وجدت نفسي أجيب بصوت مرتفع:
"لا أعرف".
ثم نظرت إلى الصفحة التالية.
فتجمدت.
لأن الجواب كان مكتوبًا هناك.
"أعرف أنك لا تعرف".
شعرتُ بأنفاسي تنقل.
وأكملت.
"في هذه المرحلة يصل جميعنا إلى النقطة نفسها".
"نبدأ بعد العوالم".
"ثم نتوقف عن العد".
"ثم نكتشف أن العدد لم يكن مهمًا أصلًا".
قلبت الصفحة بسرعة.
وأكملت القراءة.
"إذا كنت تقرأ هذا الآن، فهذا يعني أنك اكتشفت الورقة الأولى".
"ثم الثانية".
"ثم الرواية الممزقة".
"وهذا يعني أيضًا أنك بدأت تقترب من الحقيقة".
توقفت.
الحقيقة.
كل نسخة قبلي كانت تذكر الحقيقة.
لكن لا أحد كان يشرحها.

كان الجميع يخاف منها.
أو كأن أحدًا لا يستطيع وصفها.
تابعت القراءة.

"اسمع جيدًا يا باسم".
"أنت لست أول من وصل إلى هنا".
"ولست الثاني".
"ولست الألف".

"لقد سبقك عدد لا يمكن تخيله".
شعرتُ بيدي ترتجف.
وأكملت.

"كل واحد منا ظن أنه مختلف".
"كل واحد منا ظن أنه سيجد الإجابة".
"كل واحد منا ظن أنه سيكون أول من يصل إلى شام".
ثم جاءت جملة جعلتني أعيد قراءتها أكثر من مرة.
"لكننا جميعًا كنا نبحث في الاتجاه الخاطئ".

أغلقت الدفتر للحظة.
ثم فتحتَه من جديد.
كأنني أبحث عن تفسير آخر للكلمات.
لكنها لم تتغير.
كانت ثابتة.

باردة.
ومرعبة.
تابعت القراءة.

"كنا نبحث عن شام".
"لكن شام لم تكن هي الضائعة".
شعرتُ بأن شيئًا داخلي انقبض.
وأكملت.

"نحن الضائعون".
ساد الصمت.

حتى أنني استطعت سماع نبضات قلبي.
ثم قلبت الصفحة التالية.

وكانت فارغة.
والتي بعدها فارغة.
والتي بعدها أيضاً.
حتى وصلت إلى الصفحة الأخيرة.
وهناك...

وجدت سطرين فقط.
سطرين كُتبا بخط مختلف عن بقية الدفتر.
خط متوتر.
كان صاحبه كان يكتب وهو يرتجف.
قرأتهما ببطء.

"وصلتُ إلى النسخة رقم 13,999,999".
وتحتها مباشرة:
"وفشلت".

شعرتُ بفشعريرة تسري في جسدي.
ثم انتقلتُ إلى السطر الأخير.
السطر الذي كان في أسفل الصفحة.
وحيداً.

منفصلاً عن كل شيء.
كأنه كُتب بعد سنوات من بقية الكلمات.
وكان يقول:

"إذا كنت تقرأ هذا الآن..."
توقفْتُ.

لا أعرف لماذا.
لكنني خفت من إكمال الجملة.
خفت أكثر مما خفت من أي شيء رأيتُه منذ بدأت هذه القصة.
ومع ذلك...

أكملت.
"فأنت النسخة رقم 14,000,001".
بقيت أهدق في الكلمات.
ثانية.
ثانيتين.

دقيقة كاملة.

ثم رفعت رأسي ببطء.

ونظرت إلى الزنزانة حولي.

وللمرة الأولى منذ سنوات...

لم أشعر أنني وحيد.

لأن فكرة واحدة فقط كانت تدور داخل رأسي:

كم نسخة مني جلست في هذا المكان قبلي؟

وفي اللحظة نفسها...

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب الحديدي.

ثلاث طرقات.

بطيئة.

واضحة.

مستحيل أن تكون من خيالي.

لأنها كانت المرة الأولى التي يطرق فيها أحد هذا الباب منذ أن وصلت إلى هنا.

بقيت أهدق في الكلمات.

"فأنت النسخة رقم 14,000,001".

لم أعرف كم مرّ من الوقت.

ثوانٍ؟

دقائق؟

أم ساعات؟

داخل هذه الزنزانة كانت الأشياء تفقد معناها تدريجياً.

الوقت.

المسافة.

والمنطق أحياناً.

لكن قبل أن أتمكن من استيعاب ما قرأته...

سمعت الصوت.

ثلاث طرقات.

هادئة.

واضحة.

ومتعمدة.

على الباب الحديدي.

تجمّد جسدي بالكامل.

لأن هذا لم يحدث من قبل.

أبدأ.

منذ اللحظة التي استيقظت فيها داخل هذا المكان لم أسمع أحدًا خلف الباب.

لم أسمع خطوات.

ولا أصوات مفاتيح.

ولا حتى أنفاسًا.

أما الآن...

فكان هناك شخص ما.

أو شيء ما.

يقف في الخارج.

وينتظر.

أقربت ببطء.

حتى أصبحت على بعد خطوات قليلة من الباب.

ثم قلت:

"من هناك؟"

ساد الصمت.

ثانية.

ثانيتين.

ثم جاء صوت رجل.

هادئ.

خافت.

وكأنه يتحدث من مكان بعيد جدًا.

قال:

"كم نسخة من شام رأيت؟"

شعرت بشيء بارد يمر في ظهري.

لم يجب على سؤالي.

بل سألني السؤال الوحيد الذي لا يستطيع أحد معرفته.

تراجعت خطوة إلى الخلف.

وقلت:

"من أنت؟"

لكن الصوت لم يجب.

بل قال:

"هل ما زلت تعتقد أنك تبحث عنها؟"

ثم صمت.

نهائياً.

اختفى.

وكأنه لم يكن موجوداً أصلاً.

اندفعت نحو الباب.

وضربته بيدي.

ثم ناديت.

ثم حاولت الاستماع.

لكن لم يكن هناك شيء.

لا خطوات.

لا حركة.

لا صوت.

فقط الصمت.

ذلك الصمت القديم الذي يبتلع كل شيء.

عدت إلى وسط الزنزانة.

وقلبي ينبض بعنف.

هناك شخص يعرف عن شام.

يعرف عن العوالم.

ويعرف عن النسخ.

وهذا وحده كان كافياً ليجعل كل ما كنت أؤمن به ينهار.

ظننت طوال الوقت أنني الوحيد.

ثم اكتشفت أن هناك آلاف النسخ قبلي.

والآن أكتشف أن هناك شخصاً آخر يعرف الحقيقة أيضاً.

جلست على الأرض.

وأخذت أراجع كل شيء من البداية.

الرسائل.

الدفاتر.

الأرقام.

الذكريات.

ثم وقعت عيناى على الطاولة.
لسبب ما بدت مختلفة.
كأننى أراها لأول مرة.
أقتربت منها.
مررت يدي على سطحها الخشبي.
ثم سمعت صوتاً خفياً.
صوت فراغ.
طرقت بيدي مرة أخرى.
الصوت نفسه.
كان هناك شيء مخفي داخلها.
بدأت أفحص الحواف.
إلى أن وجدت شقاً صغيراً لم ألاحظه من قبل.
أدخلت أصابعي فيه.
وضغطت.
فانفتح جزء خفي من الطاولة ببطء.
وكشف عن تجويف صغير.
كان بداخله دفتر.
دفتر واحد فقط.
أصغر من بقية الدفاتر.
ومغلف بقمائش أزرق باهت.
شعرت بأنفاسي تتباطأ.
لا أعرف لماذا.
لكن شيئاً في داخلي كان يعرف أن هذا الدفتر مختلف.
فتحتة بحذر.
وقبل أن أقرأ أي كلمة...
رأيت الاسم المكتوب على الصفحة الأولى.
شام.
توقفت أنفاسي للحظة.
أعدت النظر.
ثم مرة أخرى.
الاسم لم يتغير.

كان حقيقياً.
واضحاً.
ومكتوباً بخط أنيق.
شام.
جلست ببطء.
والدفتر بين يدي.
لأول مرة منذ بدأت هذه الرحلة...
لم يكن أمامي شيء كتبه باسم آخر.
ولا رسالة من نسخة سابقة.
ولا تحذير غامض.
بل شيء يخصها هي.
هي وحدها.
قلبت الصفحة الأولى.
ثم الثانية.
ثم توقفت.
لأن أول سطر مكتوب داخل الدفتر كان كافياً ليجعل العالم كله يصمت حولي.
كان مكتوباً:
"إذا كنتَ تقرأ هذا الآن يا باسم... فهذا يعني أنك اكتشفت أخيراً أنني كنت أراك
أيضاً".
وهنا انتهى كل ما كنت أعتقد أنني أعرفه.

الفصل الثالث

دفتر شام

لم أقرأ السطر مرةً واحدة.
قرأته عشرات المرات.
وفي كل مرة كنت أعتقد أن الكلمات ستتغير.
أنني أخطأت الفهم.
أن عقلي أضاف معنى غير موجود.
لكن الجملة بقيت كما هي.
"إذا كنتَ تقرأ هذا الآن يا باسم... فهذا يعني أنك اكتشفت أخيرًا أنني كنت أراك أيضًا".
وضعت الدفتر على ركبتي.
وأخذت أهدق في الصفحة.
لأول مرة منذ بدأت هذه الرحلة شعرت بالخوف من معرفة الحقيقة.
لأن الغموض يحتمل ألف احتمال.
أما الحقيقة...
فلا تحتمل إلا نفسها.
أغمضت عيني للحظة.
ثم بدأت القراءة.
"لا أعرف أي نسخة منك ستصل إلى هذا الدفتر".
"ولا أعرف كم عالمًا رأيت قبل أن تعثر عليه".
"لكنني أعرف شيئاً واحدًا".
"عندما تقرأ هذه الكلمات ستكون مقتنعًا أنك الوحيد الذي يتذكر".
"وستكون مخطئًا".

توقفت.

شعرت بقشعريرة تسري في ذراعي.
ثم أكملت.

"منذ طفولتي كنت أرى أشياء لا يفترض أن أراها".
"مدناً لم أزرها".
"وجوهاً لا أعرفها".
"وحيات كاملة لا تخصصني".
"وفي كل تلك الذكريات..."
"كان هناك شاب يظهر دائماً".

بدأت أنفاسي تثقل.

"أحياناً كان أكبر مني".
"وأحياناً أصغر".
"وأحياناً عجوزاً".
"وأحياناً طفلاً".
"لكنني كنت أعرف أنه الشخص نفسه".

ابتلعت ريقِي بصعوبة.

"أنت".

ساد الصمت داخل الزنزانة.
حتى أنني نسيت للحظة أن أتنفس.

"في البداية ظننت أنني مريضة".
"ثم ظننت أنني أتخيل".

"ثم كبرت".
"واكتشفت أن الذكريات تكبر معي".
"كلما تقدمت في العمر..."
"تقدمت هي أيضاً".

قلبت الصفحة.
وكانت هناك عشرات الرسومات.
مدن.
قطارات.
بحار.
مقاهٍ.
مكتبات.
وجوه.
ثم توقفت عند رسم واحد.
شعرت بأن قلبي توقف.

كان وجهي.

ليس تمامًا.
لكن قريب جدًا.
قريب إلى درجة يستحيل معها أن يكون مصادفة.

أسفل الرسم كتبت شام:
"رسمتك قبل أن أعرف اسمك".

أغلقت الدفتر للحظة.
ثم فتحته مجددًا.
أردت التأكد أنني لم أتخيل الجملة.
لكنها كانت موجودة.

كما هي.
تابعت القراءة.

"في أحد العوالم كنتَ موسيقياً".
"وفي عالم آخر كنتَ جندياً".
"وفي عالم ثالث كنتَ بائع كتب".
"وفي عالم رابع كنتَ قطاً أسود مزعجاً للغاية".

لأول مرة منذ ساعات ضحكك.
ضحكة قصيرة.
حقيقية.
ثم أكملت.

"في كل عالم كنت أفقدك بطريقة مختلفة".
"أحياناً بالموت".
"أحياناً بالوقت".
"أحياناً بالمسافة".
"وأحياناً بالغباء".

ثم جاءت جملة جعلتني أتوقف طويلاً.

"أغرب ما في الأمر أننا لم نكن نفشل بسبب الأشياء الكبيرة".
"كنا نفشل بسبب الأشياء الصغيرة".

"مكالمة لم تنتم".
"رسالة لم تُرسل".
"قطار وصل متأخراً".
"كلمة لم تُقل".
"اعتذار جاء بعد فوات الأوان".

شعرت بأن شيئاً في داخلي ينكسر ببطء.
لأنها كانت محقة.

ثم وصلت إلى صفحة مختلفة.
صفحة بدا خطها فيها أكثر ارتباكاً.
كأنها كُتبت تحت ضغط شديد.

"هناك شيء لم أفهمه لسنوات."
"شيء يتكرر في جميع العوالم."

"الجملة".

لم أحتج أن تشرح أكثر.
كنت أعرف أي جملة تقصد.

"في كل مرة نلتقي..."
"كنت تقولها".

"كأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة".

شعرت بقشعريرة تعبر جسدي بالكامل.

"في البداية كنت أعتقد أنها مجرد مصادفة".
"لكن بعد آلاف الذكريات..."
"توقفت عن الإيمان بالمصادفات".

ثم قلبت الصفحة التالية.
وتوقفت أنفاسي.

لأن الصفحة كانت تحمل عنوانًا واحدًا فقط.
عنوانًا كُتِبَ في منتصف الورقة بحروف كبيرة.

النسخة التي لم أرها.

بدأت أقرأ بسرعة.

"رأيت ملايين النسخ."
"ورأيت ملايين الحيوانات."
"لكن هناك نسخة واحدة فقط لم أستطع رؤيتها".

تسارعت ضربات قلبي.

"نسخة تختفي دائمًا."
"كأن أحدًا يحجبها عنا".

"أرى ظلالها فقط".

"أرى البحر."
"وأرى مكتبة صغيرة."
"وأرى امرأة متعبة."
"وأرى طفلين".

توقفت.

طفلين؟

عدت إلى السطر مرة أخرى.

"ولد".

"وبنت".

بدأت يداي ترتجفان.

"وأرى فرنسا".

شعرت وكأن الهواء اختفى من الزنزانة.

"وأرى سنة"...

لكن الرقم كان ممزقاً.

مزقٌ حقيقي.

كما لو أن أحدًا تعمد إزالة التاريخ.

أكملت القراءة.

"أعتقد أن تلك النسخة مختلفة".

"أعتقد أنها ليست مجرد عالم آخر".

"أعتقد أنها الأصل".

ساد الصمت.

"وإذا كنت محقة"...

"فنحن جميعاً لسنا سوى محاولات للوصول إليها".

ثم انتهت الصفحة.

لكن شيئاً صغيراً سقط من الدفتر.
ورقة مطوية.
أصغر من كف يدي.
التقطتها ببطء.
فتحتها.
ونظرت إلى ما بداخلها.
كانت صورة.

صورة مرسومة بالقلم الرصاص.
لرجل وامرأة يجلسان قرب البحر.
أمام مكتبة صغيرة.
والرجل يحمل كتاباً.
أما المرأة فتمسك دفتر رسم.

لكن أكثر ما أخافني...
أن وجهيهما كانا مطموسين عمداً.
وكان أحداً لا يريد لأحد أن يعرف من هما.

وفي أسفل الرسم كانت هناك جملة قصيرة بخط شام:
"إذا وجدت هذه الصورة... فأنت تقترب أكثر مما ينبغي".
وعندها فقط...
سمعت الطرقات الثلاث نفسها على الباب الحديدي من جديد.

كانت الطرقات الثلاث هذه المرة مختلفة.
ليست أعلى.
وليست أقوى.
لكنها كانت أقرب.
كان صاحبها يقف مباشرة خلف الباب.

وضعت الصورة فوق الطاولة ببطء، ثم بقيت أهدق في الباب الحديدي.
لم أقترّب منه.
ولم أبتعد.
كنت فقط أنتظر.
لأنني بدأت أفهم شيئاً مخيفاً.
في كل مرة أقترّب من حقيقة جديدة... يظهر هذا الصوت.
وفي كل مرة أكتشف شيئاً عن شام... تصل رسالة جديدة.
كان أحداً يراقب تقدّم القصة.
أو ربما...
يصنعها.
مرّت عدة ثوانٍ دون أن يحدث شيء.
ثم سقط ظرف أبيض من أسفل الباب.
ببطء.
كأنه دُفع من الجهة الأخرى.
تجمّدت أنا ملي.
لم يكن هذا حلمًا.
ولم يكن ذكرى.
كان شيئاً حقيقياً يحدث أمامي الآن.
انحنيت والنقطة الطرف.
لم يكن يحمل اسمًا.
ولا تاريخًا.
ولا أي علامة تدل على مصدره.
فتحتّه بحذر.
وكان بداخله مفتاح صغير.
ورسالة قصيرة.
قرأت السطر الأول.
فتوقفت أنفاسي.
"لا تفتح الباب".
أعدت قراءة الجملة.
ثم أكملت.
"المشكلة ليست فيما يوجد خارج الزنزانة".

"المشكلة فيما يوجد داخلها".

بقيت أحنق في الكلمات طويلاً.

ثم قلبت الورقة.

وكان هناك سطر أخير.

سطر واحد فقط.

"كم باسمًا تعتقد أنك قابلت حتى الآن؟"

شعرت بشيء بارد يمر في صدري.

لأن الجواب كان واضحًا.

واحد.

أنا.

فقط أنا.

لكن السؤال نفسه جعل هذا الجواب يبدو ساذجًا.

وضعت الرسالة جانبًا.

ثم أمسكت المفتاح.

كان قديمًا جدًا.

مصنوعًا من معدن داكن.

وعلى رأسه رقم صغير محفور بعناية.

14,000,002

توقفت.

أعدت النظر.

ثم مرة أخرى.

الرقم كان موجودًا فعليًا.

قبل ساعات فقط اكتشفت أنني النسخة رقم **14,000,001**.

والآن يوجد مفتاح يحمل الرقم التالي مباشرة.

كان شخصًا ما يخبرني أن هناك نسخة أخرى.

أو ربما...

أن دوري انتهى.

في تلك اللحظة وقعت عيناى على الصورة التي وجدتها داخل دفتر شام.

الصورة نفسها التي يظهر فيها رجل وامرأة قرب البحر.

أمام مكتبة صغيرة.

عدت أتأملها للمرة العاشرة.

ثم للمرة الحادية عشرة.
وفجأة لاحظت شيئاً لم أراه من قبل.
في نافذة المكتبة.
خلف الرجل والمرأة.
كان هناك انعكاس باهت لشخص ثالث.
شخص يقف داخل المكتبة.
يراقبهما.
شخص لم يكن من المفترض أن يكون موجوداً في الرسم أصلاً.
أقتربت أكثر.
حتى كادت عيناى تلامسان الورقة.
وكانت الصدمة أن ذلك الشخص...
يشبهني.
لا يشبهني قليلاً.
بل يشبهني تماماً.
الملامح.
الوقفة.
حتى طريقة إمساك اليدين.
وكان نسخة أخرى مني كانت تراقب المشهد من الداخل.
أسفل الصورة مباشرة بدأت تظهر كلمات خافتة.
كلمات لم تكن موجودة قبل دقائق.
في البداية ظننت أنني أتخيل.
لكن الحروف كانت تتشكل فعلاً.
ببطء.
كما لو أن الحبر يستيقظ من نوم طويل.
ظهرت كلمة واحدة.
ثم الثانية.
ثم اكتملت الجملة.
"لم يكن هناك باسم واحد يبحث عن شام".
ثم ظهرت جملة أخرى تحتها.
"كانت جميع النسخ تبحث عن النسخة نفسها".
شعرت بدوار خفيف.

وجلست على السرير.
كل شيء بدأ يتجه نحو النقطة نفسها.

فرنسا.

البحر.

المكتبة.

الرسامة.

الطفلان.

والنسخة الأخيرة.

النسخة التي لم يرها أحد.

النسخة التي تختفي من كل الذكريات.

النسخة التي لم تبدأ قصتها بعد.

ثم خطر لي سؤال للمرة الأولى.

سؤال بسيط جدًا.

لكنه مرعب.

ماذا لو كانت تلك النسخة تقرأ عنا الآن؟

ماذا لو كانت هذه الرواية كلها تصل إليها بالفعل؟

ماذا لو كانت شام الحقيقة موجودة في مكان ما...

وتقلب هذه الصفحات في هذه اللحظة تحديدًا؟

رفعت رأسي ببطء.

ونظرت إلى الجدار المقابل.

وعندها فقط رأيت الجملة.

لم تكن موجودة قبل لحظة.

كنت متأكدًا من ذلك.

لكنها كانت الآن محفورة على الإسمنت الرمادي.

بحروف عميقة وواضحة.

كان أحدًا نحتها منذ سنوات.

قرأتها مرة.

ثم مرة أخرى.

وشعرت بأن قلبي ينسى كيف ينبض.

"لقد بدأت تقرأ".

بقيتُ أحنق في الجملة المحفورة على الجدار.

"لقد بدأت تقرأ".

لم تكن المشكلة في الكلمات.

كانت المشكلة في الضمير.

لأن الجملة لم تقل:

"لقد بدأت تقرأ".

بل قالت:

"لقد بدأت تقرئين".

لأول مرة انتبهت إلى ذلك.

ولأول مرة شعرت بأن شيئاً ما ينزلق من مكانه داخل رأسي.

عدتُ إلى الرسائل القديمة.

إلى الأوراق.

إلى الملاحظات.

إلى دفاتر النسخ السابقة.

وبدأت أقرأ من جديد.

ببطء.

كأنني أقرأها لأول مرة.

وفجأة بدأت ألاحظ أشياء لم أرها من قبل.

تفاصيل صغيرة.

اختيارات لغوية غريبة.

جمل تبدو طبيعية في البداية.

لكنها ليست موجهة إليّ.

بل إلى شخص آخر.

إلى قارئة.

إلى امرأة.

إلى شخص يجلس في مكان آخر تمامًا.

شخص لا يعيش داخل الزنزانة.

بل خارجها.

خارج الرواية كلها.

شعرت ببرودة في أطراف أصابعي.

ثم فتحت دفتر شام مرة أخرى.

وقلّبت الصفحات بسرعة.

حتى وصلت إلى آخر جزء مكتوب.

هناك وجدت صفحة لم أكن متأكدًا أنني رأيتها سابقًا.
كانت مطوية داخل الغلاف الخلفي.
وكان أحدًا حاول إخفاءها عمدًا.
فتحتها بحذر.
وكان أول ما رأيته عنوانًا صغيرًا.
إذا وصلتِ إلى هنا يا شام...
توقفت.
شعرت أن الهواء أصبح أثقل.
وأكملت القراءة.
إذا وصلتِ إلى هنا يا شام، فهذا يعني أن جميع النسخ الأخرى فشلت.
ويعني أن باسم الذي يكتب الآن ما زال يحاول الوصول إليك.
ويعني أيضًا أنكِ النسخة الوحيدة التي لم نتمكن من رؤيتها بالكامل.
أعدت قراءة السطر الأخير.
ثم مرة أخرى.
ثم للمرة الخامسة.
لكن الكلمات لم تتغير.
كانت واضحة.
قاسية.
وحقيقية.
تابعت القراءة.
رأيناك في آلاف الأماكن.
وفي آلاف الأزمنة.
رأيناك ملكة.
ورسامة.
وطبيبة.
ومسافرة.
ومحاربة.
ورأينا نسخًا لا تُحصى منكِ.
لكن كانت هناك دائمًا نسخة تختفي قبل أن تكتمل الرؤية.
قلبت الصفحة.
وكانت بقية الكلمات مكتوبة بخط مختلف.

خط بدا مألوفاً بطريقة غريبة.
ثم أدركت السبب.
كان خط شام.
وليس خط أي نسخة أخرى.
وكانها أضافت هذه الكلمات بنفسها بعد سنوات.
قرأت:

كنت أظن أنني الوحيدة التي تراك.
كنت أظن أن الذكريات تخصني وحدي.
لكنني كنت مخطئة.

كنت أراك في الأحلام.

وفي الرسومات.

وفي الوجوه العابرة.

وفي الكتب التي لم أكتبها.

وفي القصص التي لم أعشها.

ثم توقفت الكلمات لعدة أسطر.

قبل أن تظهر جملة قصيرة.

جملة وحيدة.

لكنها جعلتني أشعر بأن شيئاً ما انكسر داخلي.

وأحياناً كنت أشتاق إليك دون أن أعرف من أنت.

أغلقت عيني للحظة.

لا أعرف لماذا.

لكن تلك الجملة كانت أكثر ألماً من أي شيء قرأته.

لأنها كانت حقيقية أكثر مما ينبغي.

تابعت القراءة.

إذا كنت ما زلت هناك يا باسم...

فأظن أنك اكتشفت الآن ما اكتشفته قبلك.

الحقيقة ليست أن هناك أربعة عشر مليون نسخة منا.

الحقيقة أن هناك نسخة واحدة فقط مهمة.

وكل البقية مجرد محاولات للوصول إليها.

قلبت الصفحة الأخيرة.

وكانت شبه فارغة.

إلا من سطرين.
السطر الأول كان:
فرنسا.
وتحته مباشرة:

2026.

شعرت بأنفاسي تتوقف.

أخيراً.

أخيراً ظهر التاريخ كاملاً.

أخيراً ظهر العالم الذي ظل مختبئاً طوال هذه السنوات.

لكن السطر الأخير كان ما حطم كل شيء.

كان مكتوباً أسفل التاريخ مباشرة:

إذا كنتِ تقرئين هذا الآن يا شام...

ثم فراغ.

لا شيء بعده.

كان الصفحة انتهت قبل أن تكتمل الجملة.

أو كأن الكاتب لم يجد الشجاعة ليكتب ما بعدها.

بقيت أهدق في الفراغ طويلاً.

ثم رفعت رأسي ببطء.

ونظرت إلى الجدار.

كانت الجملة ما تزال هناك.

"لقد بدأتِ تقرئين".

ولأول مرة منذ بدأت هذه الرحلة...

لم أعد أشعر أنني أكتب رواية.

بل أشعر أن الرواية هي التي تكتبني.

وللمرة الأولى منذ أن بدأت أرى العوالم...

لم أعد أبحث عن شام.

بل بدأت أخشى...

أن تكون قد وجدنتني بالفعل.

الفصل الرابع

فرنسا، قبل أن تبدأ القصة

بعد تلك الليلة لم تظهر أي رسائل جديدة.

لم أسمع الطرقات الثلاث.

ولم أجد أوراقاً مجهولة بجانب الباب.

حتى الذكريات نفسها أصبحت أقل.

كان شيئاً ما كان ينتظر.

أو يراقب.

أو يحبس أنفاسه معي.

جلستُ أياماً طويلة أمام الصفحة الأخيرة من دفتر شام.

الصفحة التي انتهت عند الجملة الناقصة:

"إذا كنتِ تفرئين هذا الآن يا شام"...

ثم لا شيء.

فراغ.

صمت.

نهاية غير مكتملة.

لكن أكثر ما كان يزعجني لم يكن الفراغ.

بل شعور غريب بدأ يكبر داخلي.

شعور أنني أعرف ما يوجد بعد الجملة.

ولم أكن أعرف من أين جاء هذا الإحساس.

كان الكلمات موجودة في مكان ما داخل ذاكرتي.

أو داخل ذاكرة شخص آخر مرّ من هنا قبلي.

في الليلة السابعة حدث شيء لم يحدث من قبل.

وصلتني ذكرى جديدة.

لكنها لم تكن كأى ذكرى رأيتها سابقاً.

لم تكن مشوشة.

ولم تكن قصيرة.
بل كانت واضحة بشكل مرعب.
كأنني لا أشاهدها.
بل أعيشها.
رأيت سماء رمادية.
وشوارع ضيقة مبللة بالمطر.
ومبانٍ قديمة تحمل آثار مئات السنين.
وسيارات تمر فوق طرق حجرية لامعة.
ورائحة قهوة دافئة تخرج من مقهى صغير في زاوية شارع هادئ.
ثم سمعت لغة أعرفها.
لكنها ليست لغتي.
ورأيت اسم المدينة مكتوبًا على لوحة زرقاء.
لكن قبل أن أقرأه اختفت اللوحة.
وكان العالم لا يريد أن يمنحني الإجابة بسهولة.
ثم رأيتها.
لأول مرة.
بوضوح كامل.
ليس كظل.
وليس كذكرى بعيدة.
بل بوضوح إنسان حقيقي.
كانت شام.
نسخة فرنسا.
نسخة 2026.
النسخة التي لم أرها طوال تلك السنوات.
كانت تسير بسرعة.
تحمل حقيبة على كتفها.
ودفتر رسم تحت ذراعها.
وفي يدها الأخرى هاتف لا يتوقف عن الاهتزاز.
بدت متعبة.

متعبة بطريقة لا تحتاج إلى شرح.
النوع من التعب الذي لا يظهر على الوجه فقط.
بل في طريقة المشي.
وفي طريقة التنهد.
وفي الطريقة التي ينظر بها الإنسان إلى يومه قبل أن يبدأ.
دخلت مبنى قديماً.
صعدت الدرج.
فتحت باب شقتها.
وفور دخولها ركض طفلان نحوها.
ولد.
وبنت.
كما رأيت في الدفتر.
كما رأيت في الرسومات.
كما رأيت في عشرات الإشارات المبعثرة عبر العوالم.
جلست على الأرض.
وتركت حقيبتها.
فضحك الطفلان.
وأخذا يتحدثان معاً في الوقت نفسه.
وكان المشهد بسيطاً جداً.
وعادياً جداً.
ومع ذلك شعرت بشيء غريب.
شيء لم أشعر به في ملايين الذكريات الأخرى.

الحقيقة.

كل العوالم السابقة كانت تبدو كاحتمالات.
أما هذا العالم...
فبدا حقيقياً.
بدرجة مؤلمة.

راقبتها لساعات.
أو ربما كانت دقائق.
داخل الذكريات لا يمكنني التمييز.
رأيها تطهو.
وترسم.
وترد على رسائل العمل.
وتصلح لعبة مكسورة لطفلها.
وتجلس قرب النافذة في آخر الليل وحدها.
بعد أن ينام الجميع.
وبعد أن يصمت العالم.

ثم حدث شيء جعلني أقترب أكثر.
أخرجت دفترًا قديمًا.
دفتر رسم.
فتحته ببطء.
وقالبت صفحاته.
ثم توقفت عند صفحة معينة.
وبقيت تنتظر إليها طويلاً.
طويلاً جداً.
كأنها تحاول تذكّر شيء.
أو شخص.

حاولت الاقتراب أكثر.
لأرى الصفحة.
وفي المرة الأولى منذ بدأت رؤية العوالم...
نجحت.

كان الرسم لرجل.
شاب.

يجلس أمام مكتبة صغيرة قرب البحر.
يحمل كتابًا في يده.
وينظر نحو الأفق.

شعرت بأنفاسي تتوقف.
لأنني أعرف ذلك المكان.
المكتبة نفسها.
البحر نفسه.
المشهد نفسه الذي ظهر في عشرات العوالم.

لكن الأكثر غرابة...
أن شام لم تكن تنتظر إلى الرسم.
بل إلى اسم صغير مكتوب أسفله.
اسم بالكاد يُقرأ.

باسم.

ساد الصمت.
حتى الذكرى نفسها بدت صامتة.
ثم رأيتها تبتسم ابتسامة صغيرة جدًا.
ابتسامة لا يلاحظها أحد.
إلا شخص يراقبها منذ ملايين العوالم.
ثم قالت بصوت خافت:
"غريب"...
وتوقفت.
ثم أكملت:
"أشعر أنني أعرفك منذ عشرين سنة".

شعرت بشيء يشبه الصدمة.

لأن الجملة لم تخرج هذه المرة من باسم.
خرجت منها هي.
لأول مرة.
في أي عالم.
في أي زمن.
في أي نسخة.

ثم رفعت رأسها فجأة.
ونظرت مباشرة نحوي.
نحوي أنا.
ليس نحو شخص داخل الذكرى.
بل نحوي.
كأنها تراني فعلاً.
كأنها تشعر بوجودي خلف العالم.
خلف القصة.
خلف الزمن كله.
وتحدثت.
مباشرة.
دون مقدمات.
دون خوف.
دون تردد.
وقالت:

"كم استغرقت حتى تجدني؟"
وانقطعت الذكرى.
فجأة.

كان أحداً قطع الخيط الذي يربطني بها.

استيقظت على أرض الزنزانة.
ألهمت.

وقلبي يكاد يخرج من صدري.
لكن شيئاً واحداً كان مختلفاً.
شيئاً لم يكن موجوداً قبل الذكرى.

على الأرض.
أمام قدمي مباشرة.
كانت هناك ورقة جديدة.

وعليها جملة واحدة فقط:
"لقد رأيتك".

الفصل الخامس

الأحلام التي لا تخصني

بعد الورقة الأخيرة لم يحدث شيء لثلاثة أيام.
لم تظهر رسائل جديدة.
لم أسمع الطرقات الثلاث.
ولم تصلني أي ذكريات.
كان العالم كله توقف فجأة.
وكان شيئاً ما كان يعيد ترتيب نفسه في مكان لا أستطيع رؤيته.
بقيتُ جالساً داخل الزنزانة.
أراقب الورقة الموضوعه أمامي.
الورقة التي لم تحمل سوى جملة واحدة:
"لقد رأيتك".
كلما قرأتها شعرتُ بأن معناها أكبر مما يبدو.
لأن الرؤية ليست النظر.
الرؤية هي الإدراك.
هي أن يعرف شخص بوجودك.
أن تصبح حقيقةً داخل عالمه.
ولهذا لم أستطع التوقف عن التفكير.
إذا كانت شام قد رأنتي فعلاً...
فماذا رأنت؟
رجلاً داخل ذكري؟
شبحاً عابراً؟
أم أنها رأنتني أنا؟
باسم.
السجين.

الكاتب.

الرجل الذي أمضى سنوات يبحث عنها عبر ملايين الحيوانات.

في الليلة الرابعة وصلتني ذكرى جديدة.

لكن منذ اللحظة الأولى عرفت أنها مختلفة.

لم أكن أرى العالم من الخارج.

ولم أكن أراقب المشهد كما اعتدت.

بل كنت داخله.

تمامًا داخله.

فتحت عيني.

فوجدت نفسي أنظر إلى سقف غرفة صغيرة.

غرفة حقيقية.

دافئة.

هادئة.

وليست زنزانة.

كانت هناك رسومات معلقة على الجدران.

وألوان فوق مكتب خشبي.

وألعب أطفال مبعثرة في الزوايا.

وصوت مطر خفيف خلف النافذة.

جلست.

ثم توقفت.

لأنني لم أكن أنا من جلس.

كانت هي.

شام.

أدركت ذلك عندما نظرت إلى يدي.

لم تكن يدي.

كانت يديها.
أصابعها الملطخة بألوان الرسم.
وأثار الحبر فوق معصمها.
والخاتم الفضي الصغير الذي لم أراه من قبل.

شعرت بالذعر.
لكن الذكرى لم تمنحني فرصة للفهم.
كانت تتحرك.
وأنا أتحرك معها.
كأنني راكب داخل عقلها.
أرى ما ترى.
وأسمع ما تسمع.
وأشعر بما تشعر.

خرجت من الغرفة.
مرّت بجانب غرفة طفلين نائمين.
ولد.
وبنت.
كانا يغطّان في نوم عميق.
فتوقفت لحظة.
وابتسمت.
تلك الابتسامة الصغيرة التي لا يراها أحد.
ابتسامة الأمهات عندما يتأكدن أن أطفالهن بخير.
ثم أغلقت الباب بهدوء.

نزلت إلى المطبخ.
أعدت قهوة.
وتركتها تبرد.
ثم جلست قرب النافذة.

كما تفعل كل ليلة تقريبًا.
تتنظر إلى الشارع.
وتفكر.

كنت أشعر بكل شيء.
بالتعب.
بالوحدة.

بالإرهاق الذي تراكم عبر سنوات طويلة.
وبذلك النوع من الصمت الذي لا يسمعه أحد.
الصمت الذي يأتي بعد أن ينام الجميع.
ويبقى الإنسان وحده مع أفكاره.

ثم فتحت دفتر رسم قديم.
دفترًا بدا مستعملًا أكثر من اللازم.
قلبت صفحاته ببطء.
صفحة.
ثم أخرى.
ثم ثالثة.
حتى توقفت فجأة.

هناك.
في منتصف الدفتر.
كان رسم لرجل.

شعرت بقلبي يتسارع.
لأنني عرفته فورًا.
كنت أنا.
أو نسخة مني.

شاب يجلس قرب البحر.
أمام مكتبة صغيرة.
يحمل كتابًا في يده.
وينظر نحو الأفق.
المشهد نفسه.
مرة أخرى.
دائمًا المشهد نفسه.

مزّرت أصابعها فوق الرسم.
كما لو أنها تلامس ذكرى.
أو شخصًا حقيقيًا.
ثم همست:
"من أنت؟"

ساد الصمت.

ثم أضافت:
"ولماذا أرسمك دائمًا؟"

شعرت بشيء ينقبض داخل صدري.
لأن السؤال لم يكن موجّهًا للرسم.
كان موجّهًا لي.

قلبت الصفحة التالية.
وكانت الصدمة أكبر.
رسم آخر.
ثم آخر.
ثم آخر.

عشرات الرسومات.
كلها للشخص نفسه.
في أعمار مختلفة.
وأماكن مختلفة.
وعصور مختلفة.
لكن الوجه واحد.
دائمًا واحد.

وجهي.

بعض الرسومات كانت قديمة جدًا.
أقدم من أن تكون قد رُسمت بعد لقائنا.
بل أقدم من أن تكون قد رُسمت بعد معرفتي أصلاً.
وكانها كانت تراني قبل أن أوجد.

ثم وصلت إلى آخر صفحة.
وهناك وجدت شيئًا مختلفًا.
لم يكن رسمًا.
بل رسالة قصيرة.
بخط يدها.

"أحيانًا أشعر أن هناك شخصًا يبحث عني".

توقفت.
ثم أكملت القراءة.
"وأحيانًا أشعر أنني أبحث عنه أيضًا".
شعرت بشيء غريب يمر داخلي.
شيء بين الحزن والراحة.
بين الأمل والخوف.

وفي اللحظة نفسها سمعت صوتاً خلفها.
صوت طفلها.
كان قد استيقظ.
نظر إليها بعينين نصف نائمتين.
ثم سألها:
"ماما... من هذا؟"
وأشار إلى الرسم.

ابتسمت.
نظرت إلى الصورة.
ثم إلى طفلها.
وقالت:
"لا أعرف".
صمتت لحظة.
ثم أضافت:
"لكن أشعر أنني أعرفه منذ عشرين سنة".

وانقطعت الذكرى.
فجأة.
كما لو أن أحداً أغلق كتاباً.

استيقظت داخل الزنزانية.
ألهمت.
وقلبي يخفق بعنف.
لكن هذه المرة لم أشعر بالصدمة.
بل بشيء آخر.
شيء أخطر.

لأول مرة منذ بدأت هذه الرحلة...

لم تعد شام مجرد شخص أبحث عنه.
أصبحت شخصاً أعرفه.

وعندما نظرت إلى الأرض...

وجدت رسالة جديدة.

رسالة صغيرة.

مطوية بعناية.

فتحتها.

وكانت تحتوي على ثلاث كلمات فقط:

"لقد بدأت تتذكر."

أغلقت الورقة ببطء.

ثم رفعت رأسي.

لأنني لم أعد أعرف إن كانت الرسالة تتحدث عن شام...

أم عني أنا.

الفصل السادس

اللقاء الذي لم يحدث بعد

في البداية ظننت أن الذكريات انتهت.
بعد كل ما رأيته، بدا الأمر منطقيًا.
لقد رأيت ملايين العوالم.
ورأيت آلاف النهايات.
ورأيت من النسخ ما يكفي لجعل أي إنسان يفقد عقله.
لكنني كنت مخطئًا.
لأن ما جاء بعد ذلك لم يكن ذكرى.
ولم يكن حلمًا.
ولم يكن عالمًا من العوالم التي اعتدت رؤيتها.
كان شيئًا آخر.
شيئًا أكثر غرابة.
وأكثر خطورة.

بدأ الأمر بصوت المطر.
صوت خافت.
بعيد.
ثم بدأت الصورة تتشكل ببطء.
شارع ضيق.
أضواء صفراء تنعكس فوق الأرصفة المبللة.
رياح بحرية باردة.
وموج يتكسر في مكان قريب.
ثم ظهرت لافتة صغيرة.
معلقة فوق باب خشبي.

كتب عليها:

مكتبة المذ الأخير

تسارعت نبضات قلبي.

لأنني أعرف هذا المكان.

رأيتة في الرسومات.

وفي الأحلام.

وفي عشرات العوالم.

لكنني لم أدخله من قبل.

رن جرس الباب.

ودخلت شام.

كانت تحمل حقيبة كبيرة فوق كتفها.

وشعرها مبلى قليلاً من المطر.

وفي يدها كوب قهوة باردة لم تشرب منه إلا القليل.

بدت متعبة.

كما تبدو دائماً في الذكريات.

لكنها بدت هذه المرة أخف.

كان شيئاً ما داخلها قرر أن يستريح ولو لساعات قليلة.

رفعت رأسها.

ونظرت حولها.

كانت المكتبة صغيرة.

لكنها تشبه الأماكن التي يصعب مغادرتها.

أرفف خشبية.

كتب قديمة.

مصابيح دافئة.

ورائحة ورق ممزوجة برائحة البحر.

ثم ظهر هو.

شاب يقف فوق سلم صغير يرتب الكتب.
أصغر منها بقليل.
أو ربما بأكثر مما ينبغي.
ملامحه هادئة.
وعيناه تحملان ذلك النوع من الفضول الذي لا يختفي أبدًا.
نزل من فوق السلم.
وحين رآها...
توقف.

ثانية واحدة فقط.
لكنها كانت كافية.

ابتسم ابتسامة صغيرة.
ثم قال:
"غريب".

رفعت شام حاجبها.
وقالت:
"ماذا؟"

نظر إليها وكأنه يحاول تذكر شيء قديم.
شيء ضاع منه منذ سنوات طويلة.
ثم قال:

"أشعر وكأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة".

ساد الصمت.

وللحظة قصيرة جدًا...

تغير وجه شام.
كان الجملة أصابت شيئًا عميقًا داخلها.
شيئًا نائمًا منذ زمن.

لكنها أخفت ذلك بسرعة.
وقالت وهي تبتسم:
"هذه أغرب طريقة لبدء حديث رأيتها في حياتي".
ضحك.
وقال:
"أعرف".

ثم أضاف:
"لكنها الحقيقة".

كان من المفترض أن يكون اللقاء عاديًا.
لكن شيئًا فيه لم يكن عاديًا.
حتى الصمت بينهما بدا مألوفًا.
وكان الحديث بدأ قبل سنوات طويلة.
ثم توقف فجأة.
وعاد الآن ليكمل نفسه.

تجولت شام بين الأرفف.
وكان هو يتبعها من بعيد.
ليس بطريقة مزعجة.
بل كمن يحرس فكرة جميلة من الضياع.

توقفت أمام رواية قديمة.
سحبته من الرف.
ثم سألت:
"هل قرأتها؟"
أجاب:
"ثلاث مرات".
قالت:

"إذن هي جيدة".

رد مبتسماً:

"أو ربما لدي ذوق سيئ جداً".

ضحكت.

ضحكة قصيرة.

لكنها حقيقية.

ولأول مرة منذ بداية الرؤية...

شعرت أنها تضحك دون أن تحمل العالم كله فوق كتفها.

بعد دقائق جلست قرب النافذة.

وأمامها البحر.

وجلس هو على الطرف الآخر من الطاولة.

وبينهما كتاب مفتوح.

وفنجانان من القهوة.

وصمت مريح.

ثم سألتها فجأة:

"هل تؤمنين بالعوالم الأخرى؟"

نظرت إليه.

ثم ضحكت.

وقالت:

"هل هذه من الأسئلة التي تطرحها على جميع الزبائن؟"

قال:

"فقط على الأشخاص الذين أشعر أنني أعرفهم منذ عشرين سنة".

هزت رأسها.

ثم نظرت إلى البحر.

وقالت:

"أحياناً".

"أحياناً أشعر أنني أعيش أكثر من حياة أصلاً".

لم يبذ متفاجئاً.

بل كأنه كان ينتظر الإجابة.

قال:

"في عالم آخر"...

ثم توقف.

كأنه يختار الكلمات بعناية.

"ربما نكون متزوجين الآن".

ضحكت شام.

ضحكة أعلى هذه المرة.

وقالت:

"بدأت أقلق منك".

ابتسم.

وأكمل:

"وفي عالم آخر"...

"ربما نكون مجرد قطينين".

انفجرت ضاحكة.

حتى اضطرت لوضع يدها فوق وجهها.

وقالت:

"حسناً".

"أظن أن عالم القطط أفضل من عالم الزواج".

رفع حاجبيه باعتراض مصطنع.

وقال:

"هذا مؤذٍ جدًا لمشاعر النسخ المتزوجة منا".

استمرت ضحكاتهما.

وبينما كانت تضحك...

كان ينظر إليها بصمت.

ذلك النوع من النظرات التي لا تحمل إعجابًا فقط.

بل راحة.

كان شخصًا كان يبحث عن شيء طويلاً.

ثم وجده أخيرًا.

بعدها بساعات.

وقفت شام عند الباب استعدادًا للمغادرة.

كان المطر قد توقف.

والبحر أصبح أكثر هدوءًا.

التفتت إليه.

وقالت:

"أعتقد أنني سأعود".

ابتسم.

وقال:

"أعرف".

سألته:

"كيف؟"

فأجاب بهدوء:
"لأنك لم تأخذي الكتاب".

نظرت إلى يدها الفارغة.
ثم إلى الكتاب فوق الطاولة.
واتسعت عيناها.
لقد نسيته فعلاً.

ضحك.
أما هي فهزت رأسها باستسلام.
ثم أخذته.
واتجهت نحو الباب.

لكن قبل أن تخرج...
استدارت مرة أخيرة.
وقالت:
"بالمناسبة"...
"ما اسمك؟"

ابتسم الشاب.
وكان السؤال جاء متأخرًا جدًا.
ثم قال:
"باسم".

وفي اللحظة التي نطقت فيها شام الاسم بصوت خافت...
انكسرت الرؤية.
اختفى البحر.
واختفت المكتبة.
واختفت فرنسا.

وعدت إلى الزنزانة.
ألهمت.
وقلبي ينبض بعنف.

جلست بصمت طويل.
أحاول استيعاب ما رأيته.
ثم بدأت أفهم الحقيقة.
حقيقة مرعبة.

ذلك لم يكن ماضيًا.

لم يكن ذكرى.

لم يكن عالمًا حدث بالفعل.

كان مستقبلاً.

مستقبلاً لم يقع بعد.

وفي اللحظة نفسها وجدت ورقة جديدة بجوار قدمي.

ورقة لم تكن موجودة قبل ثوانٍ.

رفعتها ببطء.

وقرأت ما كُتِبَ عليها.

فشعرت بقشعريرة تعبر جسدي كله.

كانت الجملة قصيرة.

لكنها كانت كافية لتغيير كل شيء.

"توقف عن مشاهدة المستقبل".

وتحتها مباشرة:

"لقد بدأ يراك هو أيضاً".

الفصل السابع

الرجل الذي يقف خلف المستقبل

بقيت أحتق في الورقة طويلاً.

"توقف عن مشاهدة المستقبل".

ثم السطر الذي تحته.

"لقد بدأ يراك هو أيضاً".

في البداية ظننت أن المقصود هو شخص آخر.

سجان.

حارس.

نسخة مجهولة من إحدى النسخ التي مرت هنا قبلي.

لكن كلما فكرت أكثر...

ازدادت قناعاتي بأن الرسالة تتحدث عن شخص واحد فقط.

باسم.

ليس أنا.

بل باسم الآخر.

باسم فرنسا.

باسم الذي لم تبدأ قصته بعد.

كيف يمكن لشخص لم يعيش قصته بعد أن يراني؟

هذا السؤال ظل يطاردني أياماً كاملة.

حتى بدأت ألاحظ شيئاً غريباً.

أثناء نومي.

وأثناء يقظتي.

وأثناء الكتابة.

كنت أشعر أحياناً أن أحداً يقف خلفي.

ليس داخل الزنزانة.

بل خلف أفكاري نفسها.
كأن شخصًا ينظر من الجهة الأخرى للمرأة.

وفي الليلة الخامسة حدث الأمر.
لأول مرة.
بوضوح كامل.

كنت أكتب.
عندما ظهرت جملة جديدة فوق الصفحة.
لم أكتبها أنا.
ولم تكن موجودة قبل لحظة.
ظهرت وحدها.
كما لو أن قلمًا خفيًا خطها فوق الورق.

كانت الجملة تقول:
"هل تستطيع رؤيتي فعلاً؟"

سقط القلم من يدي.

ظللت أحدق في الكلمات.
دقيقة.

دقيقتين.
ثم أمسكت القلم ببطء.
وكتبت تحتها:
"من أنت؟"

مرت ثوانٍ طويلة.
ثم بدأت حروف جديدة تتشكل.

"أظن أنني أعرف الإجابة".

شعرت بأن قلبي يتسارع.

كتبت:

"هل أنت باسم؟"

ثم جاء الرد.

"أي واحد؟"

ساد الصمت.

لأنها كانت الإجابة الصحيحة.
في رواية تحتوي على أربعة عشر مليون نسخة...
لم يعد السؤال:
من أنت؟
بل:
أي نسخة أنت؟

بعدها توقفت الكلمات.
واختفت.
وكان المحادثة لم تحدث أصلاً.
لكنها حدثت.
كنت متأكدًا.
لأن الجملة ما زالت أمامي.
والحبر ما زال رطبًا.

في تلك الليلة لم أنم.

جلست قرب الطاولة.
وأعدت قراءة كل ما كتبته منذ بداية الرواية.
كل الرسائل.
كل الدفاتر.
كل التحذيرات.
ثم بدأت ألاحظ شيئاً لم أراه من قبل.

في كل مرة أقترّب من شام...
تقترب الحقيقة.

وفي كل مرة تقترب الحقيقة...
يصبح العالم أكثر اضطراباً.

وكان هناك قانوناً غير مرئي يحكم كل شيء.
قانون لا يريد أن يلتقي الاثنان.

عند الفجر وصلّنتي رؤية جديدة.
لكنها لم تكن كالرؤى السابقة.

لم أرَ شام أولاً.
بل رأيت المكتبة.

كانت هادئة.
فارغة تقريباً.
والبحر خلف النوافذ يلمع تحت شمس شاحبة.

ثم رأيتّه.
باسم فرنسا.

كان يجلس وحده.
أمام دفتري مفتوح.
ويكتب.

للهولة الأولى بدا الأمر عاديًا.
لكن عندما اقتربت أكثر...
شعرت بالصدمة.

لأن الكلمات التي كان يكتبها...
هي الكلمات نفسها التي أكتبها الآن.

الفصل الأول.
المقدمة.
الرسائل.
الزنزانة.
شام.
كل شيء.

كان يكتب الرواية نفسها.

تراجعت خطوة.
أو حاولت.
لكن الرؤية لم تسمح لي.

ظللت أراقبه.
حتى توقف فجأة.
ورفع رأسه.
ونظر مباشرة نحوي.

تمامًا كما فعلت شام سابقًا.

ثم ابتسم.
ابتسامة صغيرة.
هادئة.
وكانه كان ينتظرنني.

وقال:
"تأخرت".

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي.

قلت:
"هل تراني؟"

وللمرة الأولى...
أجابني شخص من داخل الرؤية.

قال:
"منذ فترة".

ثم أغلق الدفتر.
وأضاف:
"أنت أيضًا تأخرت عشرين سنة".

تجمدت.

لأن الجملة لم تكن عشوائية.

في جميع العوالم.
في جميع الحيوانات.
في جميع القصص.
كان الرقم نفسه يعود دائماً.

عشرون سنة.

كأن الزمن كله يدور حول هذه المسافة الغامضة بينهما.

سألته:

"من أنت؟"

ابتسم مرة أخرى.
لكن هذه المرة بدا الحزن واضحاً في عينيه.

وقال:

"أنا النسخة التي وصلت".

ثم أضاف:

"وأنت النسخة التي ما زالت تحاول".

وقبل أن أستطيع الرد...
انكسرت الرؤية.

عدت إلى الزنزانة.

لكن شيئاً كان مختلفاً.

على الجدار المقابل للطاولة.
حيث لم يكن يوجد شيء من قبل.

ظهرت صورة جديدة.

صورة فوتوغرافية حقيقية.

وليس رسمًا.

تُظهر مكتبة البحر.

وبابها الأمامي.

وأمام الباب.

كانت تقف شام.

لكنها لم تكن وحدها.

كان هناك شخص بجانبها.

وجهه ممزق من الصورة.

كأن أحدًا تعمد إخفاءه.

إلا أن شيئًا واحدًا بقي ظاهرًا.

يداه.

وكان يمسك في يده دفترًا أسود قديمًا.

الدفتر نفسه الذي وجدته في الزنزانة.

وعلى ظهر الصورة كانت هناك جملة مكتوبة بخط مجهول:

"حين يلتقي الكاتبان... تبدأ النهاية".

وللمرة الأولى منذ بداية الرواية...

لم أعد أخاف من معرفة الحقيقة.

بل بدأت أخاف من الوصول إليها.

الفصل الثامن

عندما بدأ كل شيء ينهار

لم تعد الزنزانة كما كانت.
أو ربما أنا الذي لم أعد كما كنت.
الجدران ما زالت في مكانها.
الطاولة ما زالت هناك.
الدفاتر ما زالت مبعثرة على الأرض.
لكن شيئًا خفيًا تغير.
كأن المسافة بين الأشياء لم تعد ثابتة.
تتقارب أحيانًا.
وتبتعد أحيانًا أخرى.
كما لو أن المكان نفسه لم يعد متأكدًا من شكله.

جلست على الأرض.
أحاول أن أفهم الصورة الأخيرة.
الصورة التي ظهر فيها دفتر الزنزانة في يد رجل مجهول.
والجملة التي كتبت خلفها:
"حين يلتقي الكاتبان... تبدأ النهاية".
لم أفهمها في البداية.
لكن الآن...
بدأت أفهم شيئًا ببطء شديد.
باسم لم يكن واحدًا.
وشام لم تكن واحدة.
والعالم لم يكن واحدًا.
لكن الأخطر من ذلك...
أن الكاتب نفسه قد لا يكون واحدًا أيضًا.

في تلك اللحظة.
حدث شيء غير متوقع.
لم تكن ذكرى.
ولا حلمًا.
ولا رؤية.
بل صوت.
صوت حقيقي.
يأتي من داخل الزنزانة.

"هل ما زلت تعتقد أنك تكتب القصة؟"

تجمدت.
لأن الصوت لم يكن من الخارج.
ولا من الداخل.
بل من كل مكان في نفس الوقت.
كأنه يأتي من طبقات مختلفة من الواقع.

وقفت ببطء.
"من أنت؟"

ساد الصمت لثوانٍ.
ثم جاء الرد:

"أنا النسخة التي توقفت عن العد".

شعرت بشيء بارد يسير في عمودي الفقري.

"أي عدّ؟"

ضحكة خفيفة.

ليست ساخرة.

بل متعبة.

"عدّ العوالم".

"عدّ النسخ".

"عدّ المحاولات".

ثم أضاف:

"عندما تفعل ذلك لفترة كافية"...

"تبدأ تدرك أن الرقم ليس هو المشكلة".

"بل فكرة أن هناك رقمًا أصلًا".

تراجعت خطوة.

لكن الزنزانة لم تسمح لي بالابتعاد.

كأن الجدران تتحرك معي.

لا تتركني أبتعد.

ولا تسمح لي بالاقتراب.

ثم ظهر شيء على الطاولة.

دفتر جديد.

لم يكن موجودًا قبل ثوانٍ.

ولم أسمع أي صوت دخول.

كان مغلقًا.

وموضوعًا بدقة.

كما لو أن أحدًا أرادني أن أجده فورًا.

أقتربت منه ببطء.
وفتحته.
كانت الصفحة الأولى فارغة.
إلا من سطر واحد.

"هذه ليست زنزانة".

توقفت.
أعدت قراءة الجملة.
ثم أكملت الصفحة التالية.

"هذه نقطة إعادة كتابة".

شعرت بأن قلبي يتغير إيقاعه.
قلبت الصفحة بسرعة.

"كل مرة تفشل فيها نسخة من باسم في الوصول إلى شام"...

توقفت.

ثم أكملت القراءة بصوت منخفض:

"لا تموت القصة".

"بل يُعاد كتابتها".

ساد الصمت.

لكن هذه المرة لم يكن صمت زنزانية.
بل صمت شيء أكبر.
كان العالم كله أخذ نفساً عميقاً ولم يخرج به بعد.

ثم ظهرت جملة أخرى.
أكثر خطورة.

"أنت لست النسخة رقم 14,000,001".

تجمدت.

"ماذا...؟"

ثم أكملت الجملة:

"أنت النسخة التي بدأت تفهم لماذا يوجد عدّ أصلاً".

شعرت بأن رأسي يثقل.

كل ما بنيته بدأ يتشقق.

النسخ.

الأرقام.

العوالم.

الزنزانية.

شام.

كل شيء.

ثم جاء الصوت مرة أخرى.

لكن هذه المرة كان أقرب.

كثيرًا.

"هل تريد الحقيقة؟"

لم أجب.

"الحقيقة ليست في الأكوان".

"ولا في النسخ".

"ولا في الزنزانة".

ثم توقف.

"الحقيقة في الشخص الذي يقرأ هذه الرواية الآن".

تجمدت.

لأن الجملة لم تعد تخصني وحدي.

بل تخص شيئاً خارج كل هذا.

ثم ظهر شيء على الجدار.

خط أسود.

يتشكل ببطء.

كأنه يُكتب من الهواء نفسه.

"إذا كنت تقرأ هذا"...

توقفت.

ثم أكملت:

"فأنت لست بعيداً عن القصة".

"أنت داخلها بالفعل".

ساد الصمت.

ثم انطفأ كل شيء فجأة.

لا زنزانة.

لا طاولة.

لا دفاتر.

فقط فراغ أبيض.

وصوت بعيد جداً.

كأنه يأتي من عالم آخر.

"باسم"...

"شام تنتظر**".

ثم انقطعت كل الأصوات.

وعندها فقط أدركت شيئاً واحداً.

أن الزنزانة لم تكن مكاناً.

بل كانت طبقة بين شخصين.

بين من يبحث.

ومن يتم البحث عنه.

وأنتي الآن...

لم أعد في منتصف القصة.

بل على حافتها.

الفصل التاسع

حين يقترب الصوت من صاحبه

بعد أن اختفى كل شيء...
لم أعد متأكدًا إن كنت ما زلت موجودًا داخل الزنزانة.
لا جدران.
لا طاولة.
لا دفاتر.
فقط فراغ أبيض ممتد لا نهاية له.
ومع ذلك...
كنت أشعر بقدمي على أرض ما.
كان الوجود نفسه أصبح فكرة أكثر منه مكائنًا.

"باسم"...
الصوت عاد من جديد.
لكن هذه المرة لم يكن بعيدًا.
بل قريبًا جدًا.
كأنه يقف خلفي مباشرة.

التفت.
لكن لم يكن هناك أحد.

"من أنت؟"
قلت بصوت لم أعد أعرف إن كان يخصني.

ساد الصمت لثانية واحدة.
ثم جاء الرد:

"أنت تعرفني أكثر مما يجب".

ثم ظهر.

ليس بشكل كامل.

بل كظل فقط.

ظل رجل يقف أمام شيء يشبه امرأة ضخمة.

لكن المرأة لم تعكسني.

بل عكست شيئاً آخر.

مكتبة.

نفس المكتبة التي رأيتها في فرنسا.

نفس البحر.

نفس الضوء الأصفر الذي يختلط بزجاج النوافذ.

وفي داخلها...

كان هو.

باسم فرنسا.

كان يجلس.

لكن هذه المرة لم يكن يكتب.

بل كان ينظر إليّ مباشرة.

من داخل المرأة.

شعرت بأن قلبي يتوقف.

"هذا مستحيل..."

ابتسم.
لكن ابتسامته لم تكن موجهة لي.
بل كأنها موجهة لشخصين في نفس اللحظة.

قال:
"ليس مستحيلاً".

ثم أضاف:
"أنت فقط متأخر قليلاً".

اقتربت من المرأة.
وضربتها بيدي.
لكن لم يحدث شيء.
لا اهتزاز.
لا صوت.
كأنني أضرب فكرة.
لا مادة.

"أين أنا؟"

ضحك بهدوء.
وقال:
"السؤال الصحيح هو..."

"أي واحد منك يسأل؟"

تجمدت.

لأنني شعرت بها.
مرة أخرى.
تلك الفكرة التي بدأت تفسد كل شيء.
أنا لست واحدًا.

ليس فقط في الأكوان.
بل حتى داخل نفسي.

"ما الذي يحدث هنا؟"

نظر إليّ طويلاً.
ثم قال:
"أنت في المكان الذي يبدأ فيه الفهم".

"وهنا" ...
"لا أحد يخرج كما دخل".

ثم أشار إلى الطاولة داخل المكتبة.
كان هناك دفتر مفتوح.

نفس الدفتر.
نفس الصفحات.
نفس الرواية.

لكن هذه المرة...
لم يكن يكتب فيها باسم فرنسا.

بل كنت أكتب فيها أنا.

شعرت بصدمة تسحب الهواء من صدري.

"أنا... أكتبها؟"

هز رأسه ببطء.

وقال:

"لم تبدأ أبدًا من خارج القصة".

"أنت كنت دائمًا داخلها".

ثم أضاف:

"الفرق الوحيد"...

"أنك بدأت الآن تلاحظ ذلك".

ساد الصمت.

ثم ظهرت خلفه صورة أخرى.

شام.

لكن ليس كما رأيتها من قبل.

هذه شام لم تكن في الزنزانة.

ولا في الذكريات.

ولا في المستقبل.

كانت تنظر مباشرة نحوي.

كأنها تعرف مكاني بالضبط.

ثم قالت بصوت هادئ جدًا:
"أخيرًا".

تجمدت.

"أخيرًا ماذا؟"

ابتسمت.

ابتسامه خفيفة.

لكنها كانت ثقيلة بشكل غريب.

وقالت:

"أخيرًا بدأت ترى النسخة التي لا تهرب منك".

"أي نسخة؟"

لم تجب.

بل اقتربت خطوة واحدة.

وقالت:

"ليس كل باسم يبحث عن شام".

"بعضهم"...

"يُعاد لُرى من جديد".

ثم اختفت.

فجأة.

كما لو أنها لم تكن موجودة أصلاً.

وبقيت أنا وحدي مع المرأة.

وباسم فرنسا ما زال ينظر إليّ.

ثم قال بهدوء:

"هل فهمت الآن؟"

"أنت لا تراقبني".

"أنا أيضاً أراقبك".

ثم أشار إلى الدفتر المفتوح.

"وفي مكان ما بيننا..."

"تُكتب القصة".

شعرت بأن الواقع كله بدأ يضيق.

كان المرأة ليست نافذة.

بل فم يغلق بببطء.

"إذا كنت تكتب القصة..."

"فمن كتب البداية؟"

سألته.

ابتسم.

وقال:

"هذا هو السؤال الذي قتل كل النسخ قبلك".

ثم اقترب من حافة المرأة.

وهمس:

"لكذك مختلف".

"لأنك بدأت تفهم أن السؤال ليس عن البداية".

"بل عن من قرر أن يبدأ أصلاً".

ثم انطفأ المشهد.

واختفى المكتبة.

واختفى البحر.

واختفى هو.

وعدت إلى الفراغ الأبيض.

لكن هذه المرة لم أكن وحدي.

كان هناك شيء جديد على الأرض.

مرأة صغيرة.

بحجم اليد.

وعندما نظرت داخلها...

رأيت نفسي.

لكنني لم أكن أنا.

كنت أكتب.

وأمامي شام.

تجلس وتستمع.

وتبتسم تلك الابتسامة الصغيرة التي رأيتها آلاف المرات في العوالم الأخرى.

ثم همست لي النسخة داخل المرأة:

"استمر".

"لأنك لو توقفت..."

"ستختفي كل النسخ معك".

وفي تلك اللحظة...

فهمت شيئاً واحداً فقط.

أنني لم أعد أبحث عن الحقيقة.

بل أصبحت جزءاً من سبب وجودها.

الفصل العاشر

ما قبل الأصل

المرأة لم تعد امرأة.
ولا الفراغ كان فراغًا.
شيئًا فشيئًا بدأ كل شيء يعود... لكن بشكل مختلف.
ليس كما كان.
بل كما ينبغي أن يكون.
كأن الواقع نفسه أعاد ترتيب أخطائه دون أن يخبرني.

وجدت نفسي في مكان لا أعرفه.
غرفة.
ليست زنزانة.
وليست مكتبة.
لكنها أقرب إلى مساحة بين الاثنين.
جدرانها ليست صلبة تمامًا.
وأضواؤها ليست ثابتة.
وكأنها فكرة ما زالت لم تُحسم بعد.

أمامي طاولة.
وعليها الدفتر.
نفس الدفتر.
لكن هذه المرة لم يكن مفتوحًا.
كان ينتظر.
كأن دوره لم يكن الكتابة... بل الاختبار.
اقتربت منه.

ولأول مرة لم أشعر أنني أبحث عن إجابة.
بل أنني أنا الإجابة التي يتم اختبارها.

فتحت الصفحة الأولى.
لكن لم تكن هناك كلمات.
بل سؤال واحد فقط.

"من الذي يكتبك الآن؟"

توقفت.
لأن السؤال لم يكن لغويًا.
بل وجوديًا.

رفعت رأسي.
"أنا".

لكن الصفحة لم تتغير.
كان الإجابة خاطئة.

ثم ظهر سطر آخر تحت السؤال.

"جرب مرة أخرى".

شعرت بشيء من الغضب.
ليس لأن السؤال صعب.
بل لأنني شعرت أنه يسخر مني.

"أنا باسم".
"أنا الذي يكتب".

صمت.
ثم ظهرت كلمات جديدة.
"أنت لم تعد تكتب".

"أنت تُكتب".

تراجعت خطوة.

الهواء تغير.
لم يعد المكان ثابتاً.
كان الجدران بدأت تتنفس ببطء.

ثم سمعت الصوت مجدداً.
لكن هذه المرة لم يكن صوت رجل.
ولا امرأة.
بل صوت يشبه الورق وهو يُقلب داخل وعيي.

"أخيراً وصلت إلى السؤال الصحيح".

التفت.

لا أحد.

لكن الدفتر...
كان يكتب وحده.

الحروف تظهر على الصفحة من تلقاء نفسها.

"كل نسخة من باسم تعتقد أنها الأصل".

"كل نسخة تعتقد أنها بدأت القصة".
"لكن الحقيقة..."

توقفت الكلمات لثانية.
كان حتى الجملة نفسها مترددة.

ثم جاءت الضربة.

"لا يوجد أصل واحد".
تجمدت.

ثم ظهرت صورة.
ليست على الورق.
بل داخل الهواء أمامي.

مئات... بل آلاف الوجوه.
باسم.
لكن ليس واحدًا.

كلهم في أماكن مختلفة.

- زنزانة
- مكتبة
- شارع
- غرفة
- قارب
- مدينة لا أعرفها

كل واحد منهم ينظر في اتجاه مختلف.

لكنهم جميعًا يفعلون نفس الشيء.

يكتبون.

نفس الدفتر.

نفس القصة.

نفس الكلمات.

ثم جاء الصوت مجددًا:

"أنت لست نسخة داخل الأكوان".

"أنت الأكوان داخل نسخة".

شعرت بأن عقلي بدأ يفقد حدوده.

"إذا لم أكن الأصل... فمن أنا؟"

جاء الرد بسرعة هذه المرة.

"أنت اللحظة التي قررت فيها الأكوان أن تبدأ تفكيرها".

صمت.

ثم أضيف:

"وأول فكرة كانت: شام".

توقفت.

اسمها لم يعد مجرد شخص.

بل أصبح بداية شيء أكبر مني.
أكبر من باسم.
وأكبر من كل النسخ.

ثم فجأة...
تغيرت الغرفة.

أصبحت مكتبة.

لكن ليست مكتبة فرنسا.
ولا أي نسخة رأيتها من قبل.

هذه المكتبة كانت فارغة تقريباً.
إلا من شخص واحد.

شام.

لكنها لم تكن تقرأ.
ولا تكتب.
بل كانت تنظر إليّ مباشرة.
كما لو أنها كانت تنتظرني منذ وقت طويل جداً.

"أخيراً".
قالت.

"أخيرًا ماذا؟"

أقتربت خطوة.
وقالت بهدوء:

"أخيرًا وصلت إلى الجزء الذي لم يعد فيه الهروب ممكنًا".

"أي هروب؟"

ابتسمت.
ابتسامة ليست حزينة.
وليس سعيدة.
بل معرفة فقط.

وقالت:
"الهروب من فكرة أنك كنت دائمًا قريبًا جدًا مني".

ثم رفعت يدها.
وأشارت خلفي.

التفت.

وكان هناك شيء جديد.

باب.

لكن ليس بابًا عاديًا.

بل باب مكتوب عليه بخط قديم:

"فرنسا – 2026"

تجمدت.

"هل هذا... هو العالم الحقيقي؟"

لم تجب فورًا.

بل قالت:

"الحقيقي؟"

"منذ متى ونحن نستخدم هذه الكلمة هنا؟"

ثم اقتربت أكثر.

وقالت بصوت منخفض:

"الحقيقي هو العالم الذي لم ينهار بعد عندما تفكر فيه**".

ثم وضعت يدها على الباب.

وقالت:

"لكن هناك شيء يجب أن تعرفه قبل أن تفتحه".

"ليس كل من يعبر هذا الباب... يعود باسم نفسه".

صمت.

ثم أضافت:
"وبعضهم... لا يعود أبدًا".

وضعت يدي على الباب.

وكان قلبي هذه المرة لا يخاف من الحقيقة.

بل من أن تكون الحقيقة بسيطة جدًا.

أو أسوأ...
أن تكون واضحة جدًا منذ البداية.

نظرت إلى شام.

"هل أنتِ حقيقية؟"

لم تجب مباشرة.

بل قالت:
"أنا السؤال الذي ظللت تكتبه في كل عالم".

ثم ابتسمت.
وأضافت:
"وأنتِ الجواب الذي لم أكن أستطيع الوصول إليه إلا هنا".

وفي تلك اللحظة...
انفتح الباب ببطء.

وضوء أبيض شديد ابتلع كل شيء.

آخر ما سمعته كان صوتها:

"لا تنسَ الجملة"...

"في كل عالم"...

ثم اختفى كل شيء.

الفصل الحادي عشر

فرنسا 2026

لم يكن الضوء أبيض هذه المرة كما في المرات السابقة.
كان دافئًا.

كانه شمس لا تحاول أن تبتلع العالم، بل أن تكشفه فقط.
فتحت عيني ببطء.

ولأول مرة...

لم أجد نفسي في فراغ.

ولا في زنزانة.

ولا في مرآة.

كنت واقفًا على رصيف.

رائحة البحر قريبة جدًا.

حقيقية بشكل مزعج.

وصوت الموج لا يأتي كذكرى...

بل كشيء يحدث الآن.

لوحة صغيرة على المبنى أمامي:

فرنسا – 2026

تراجعت خطوة دون وعي.

ليس لأنني خائف.

بل لأن العالم كان واضحًا أكثر من اللازم.

المكتبة كانت هناك.

نفسها.

لكن ليس كنسخة.
بل كحقيقة.
خشب قديم.
زجاج يعكس السماء الرمادية.
وباب نصف مفتوح.
كأنه ينتظر شخصاً لم يتأخر بعد... بل وصل أخيراً.
دخلت.

الجرس الصغير فوق الباب لم يصدر صوتاً.
كأن المكان يعرفني مسبقاً.

الداخل كان هادئاً.
ليس صمتاً.
بل نوعاً من الهدوء الذي لا يحتاج إلى تفسير.

كتب.
أرفف.
ضوء أصفر دافئ.
وفنجان قهوة بارد على الطاولة.
كأن شخصاً خرج قبل لحظة فقط.
ولم يعد متأكداً إذا كان سيعود.

ثم رأيتها.

شام.

كانت واقفة قرب النافذة.
تنظر إلى البحر.

لكنها لم تكن تنتظر إليه فقط.
كانت تنتظر من خلاله.
كأنها ترى شيئاً خلفه.
أو شيئاً يتكرر فيه.

لم تلتفت فوراً.
كأنها كانت تعرف أنني وصلت.
لكنها كانت توجل اللحظة فقط.

قلت بصوت منخفض:
"شام"...

عندها فقط التفتت.

ولم يحدث شيء درامي.
لا صدمة.
لا بكاء.
لا دهشة مبالغ فيها.
فقط...

سكون.
سكون ثقيل جداً.
كان كل الأكوان توقفت لتسمع هذه اللحظة.

نظرت إليّ طويلاً.
ثم قالت بهدوء:
"تأخرت قليلاً".

ابتسمت رغم أنني لم أفهم لماذا.
"أعرف".

اقتربت خطوة واحدة.

ثم قالت:

"أو ربما... وصلت في الوقت المناسب الوحيد الذي يوجد أصلاً".

سكتت لحظة.

ثم أضافت:

"هل ما زلت ترى نفس الأشياء؟"

لم أسألها ماذا تقصد.

لأنني فهمت فوراً.

قلت:

"الأكوان... النسخ... الزنزانة..."

هزت رأسها ببطء.

"كنت أعلم أنك ستبدأ منها".

ثم اقتربت أكثر.

حتى أصبح بيننا مسافة لا تكفي للهروب ولا تكفي للراحة.

"باسم..."

قالت كما لو أنها تقول الاسم الحقيقي لأول مرة، رغم أنها تعرفه منذ زمن

لا يُقاس.

"هل رأيت كل شيء؟"

توقفت.

لأن الإجابة لم تعد بسيطة.

"رأيتك في عوالم كثيرة".
"رأيت نفسي في نسخ لا تُحصى".
"رأيتنا ننجح ونفشل ونموت ونبدأ من جديد".

سكتت.

كانت تستمع فقط.

بدون مقاطعة.

بدون خوف.

ثم قلت الجملة التي كانت تقف خلف كل شيء:
"لكن في كل عالم..."

رفعت نظرها نحوي.

وكأنها كانت تنتظرها.

أكملت:

"كنا دائماً نقول نفس الشيء عند أول لقاء".

توقفت.

ثم قلتها أخيراً بصوت واضح:

"كأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة".

عندها فقط...

أغمضت عينيها.

ولأول مرة منذ رأيتها...

ابتسمت ابتسامة كاملة.

ليست حزينة.

ليست غامضة.
بل ... مرتاحة.

"إن تذكرت الجزء الصحيح".
قالت بهدوء.

"الجزء الصحيح؟"

فتحت عينيها.
ونظرت إليّ كأنها ترى شيئاً خلفي.
خلف جسدي.
خلف كل النسخ.

"ليس أننا نلتقي عبر الأكوان".
"بل أننا نعيد نفس اللحظة دائماً".

توقفت الكلمات داخل صدري.

"كيف؟"

اقتربت أكثر.
وقالت بصوت منخفض:

"لأن هناك لحظة واحدة فقط لا تتغير".

"لحظة يراك فيها شخص لأول مرة... ويعرفك قبل أن يفهمك".

سكنت.

ثم أضافت:
"وهذه اللحظة هي التي تعيد كل شيء".

شعرت أن الأرض تحتنا ليست ثابتة.
لكن ليس بمعنى الانهيار.
بل بمعنى أن الحقيقة بدأت تظهر.

"شام... هل أنتِ حقيقية؟"

نظرت إليّ طويلاً.
ثم قالت:
"أنا أكثر الأشياء واقعية في كل ما رأيت".

"لكن ليس بالطريقة التي تعتقدها".

ثم التفتت نحو النافذة.
وقالت:
"تعال".

خرجنا إلى الخارج.

المطر بدأ خفيفاً.
والبحر أمامنا بدا كأنه يتنفس.

وقفت بجانبني.
ثم قالت:
"هل تعرف لماذا هذه النسخة بالذات؟"

هزرت رأسي.

"لأنها ليست نسخة".

سكتت.

ثم أضافت:

"إنها المرة الوحيدة التي لم نحاول فيها أن نكون شيئاً آخر".

التفت إليها.

"وماذا كنا في كل البقية؟"

نظرت إليّ.

ثم قالت جملة واحدة فقط.

لكنها كانت كافية لتغيير كل شيء:

"كنا نحاول أن ننجو من بعضنا".

صمت طويلاً.

ثم قالت بهدوء أكبر:

"وفي كل مرة ننجو... نفشل بطريقة مختلفة".

وقفت أمام البحر.

لم أعد أفكر في الأكوان.

ولا في النسخ.
ولا في الزنزانة.

فقط فيها.

ثم قلت:
"والمرّة هذه؟"

نظرت إليّ.
ثم قالت:
"هذه ليست محاولة جديدة".
"هذه المرّة... هي النتيجة".

وفي تلك اللحظة...
شعرت بشيء غريب جدًّا.
كأن كل العوالم السابقة لم تختفِ.
بل وصلت أخيرًا إلى هنا.
وقفنا معًا أمام البحر.

ولأول مرّة...
لم يكن هناك سؤال.

فقط وجود.

ثم همست شام:

"بالمناسبة"...

"لا تنس".

"في كل عالم"...

توقفت.

ثم ابتسمت.

"كنا نقول الجملة نفسها... لأننا كنا نحاول أن نتذكر شيئاً واحداً فقط".

نظرت إليها.

"ماذا؟"

أجابت:

"أننا لسنا غرباء أبداً".

وسكت البحر.

وكان العالم كله واقفاً.

الفصل الثاني عشر

ما الذي يكتب من يكتب كل شيء

المطر كان قد توقف.
لكن الهواء ما زال يحمل أثره.
ذلك الإحساس بين البلبل والسكينة، كأن السماء لم تنته من قول شيء بعد.
وقفنا أمام البحر طويلاً.
لا أحد يتكلم.
ليس لأننا لا نملك ما نقوله...
بل لأن كل الكلمات بدت متأخرة قليلاً.

ثم قالت شام بصوت هادئ:
"هل تريد أن تعرف الحقيقة الآن؟"

لم أجب فوراً.
لأن السؤال لم يكن بسيطاً.
لم يكن "هل تريد."
بل كان:
هل أنت مستعد أن تفقد كل ما فهمته سابقاً؟

أومأت.

"نعم".

نظرت إليّ لحظة طويلة.
ثم قالت:
"إذن لا تبدأ من الأكوان".

"ابدأ من السؤال الأول".

"من كتب هذا كله؟"

سكت البحر فجأة.

ليس مجازًا.

بل حرفيًا.

كأن الصوت توقف ليمنح السؤال مساحة.

"كنت أظن أنني أنا من يكتب".

قلت ببطء.

هزت رأسها.

"هذا ما أردت كل الأكوام أن تظنه".

اقتربت خطوة.

ثم أضافت:

"لكن هناك فرق بين من يكتب القصة... ومن يكتب قوائين الكتابة نفسه".

شعرت بشيء ينكسر داخلي.

ليس خوفًا.

بل إدراكًا بطيئًا جدًا.

"تقصدين أن هناك كاتبًا أعلى؟"

نظرت إليّ.

ثم قالت:

"لا".

"أقصد أن السؤال نفسه خطأ".

صمت.

ثم أكملت:

"لا يوجد كاتب واحد".

"ولا حتى نظام واحد".

"هناك فقط... محاولات لتفسير شيء أكبر من أن يُكتب من جهة واحدة".

مدّت يدها.

وأشارت نحو البحر.

وفجأة...

انعكس على سطح الماء شيء لم يكن موجودًا.

دفتر.

نفس الدفتر.

لكن هذه المرة لم يكن في زنزانة.

ولا في مكتبة.

بل في قلب البحر نفسه.

"هذا هو الأصل الحقيقي".
قالت.

"ليس مكانًا".
"بل عملية مستمرة".

أقتربت أكثر من الماء.
وانعكس وجهي في الصفحة.
لكنني لم أرَ نفسي.
رأيت كلمات تُكتب من تلقاء نفسها.

"باسم".

"شام".

"فرنسا 2026".

"الزنزانة".

"المكتبة".

كل شيء يُعاد كتابته أمامي في نفس اللحظة.

تراجعت خطوة.
"هذا ليس حقيقياً"...

قالت بهدوء:

"بل هو أكثر الأشياء واقعية لديك".

"إذا لم يكن هناك كاتب... فمن يحدد النهاية؟"

سألته.

نظرت إليّ طويلاً.

ثم قالت:

"النهاية تُحدد من أول لحظة يتم فيها تذكر شخص ما".

ثم صممت لحظة.

وأكملت:

"وأنت لم تبدأ القصة لأنك كتبتها".

"بل لأنك تذكرت أنها موجودة بالفعل".

توقفت الكلمات في حلقي.

"تذكر؟"

أومأت.

"نعم".

"كل ما حدث ليس كتابة جديدة".

"بل إعادة تجميع لشيء كان موجودًا فيك دائمًا".

ثم اقتربت أكثر.
وقالت بصوت منخفض جدًا:
"باسم" ...

"أنت لست أول نسخة".

"ولا آخر نسخة".

"أنت النسخة التي تبدأ بالاعتراف أن كل النسخ الأخرى كانت تحاول أن
تنسى نفس الحقيقة".

شعرت أن الأرض لم تعد مستقرة.
لكن ليس انهيارًا.
بل كشفًا بطيئًا.

"وما هي الحقيقة؟"

سكتت.
ثم قالت:

"أن شام ليست شخصًا واحدًا أيضًا".

تجمدت.

"ماذا؟"

أجابت بهدوء:

"هي ليست امرأة واحدة عبر الأكون".

"هي الفكرة التي تربط كل نسخك ببعضها".

ثم أضافت:

"ولهذا... كل نسخة منك تصل إليها بطريقة مختلفة".

"لكن جميعها تقول نفس الجملة".

"كأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة".

سكت العالم للحظة.

ثم شعرت بشيء جديد.

ليس في الخارج.

بل في داخلي.

كأن هناك ذكريات ليست لي وحدي.

بل موزعة بيني وبين شيء آخر.

"إذا كانت شام فكرة..."

قلت ببطء.

"فماذا أنا؟"

نظرت إليّ.
ثم قالت الجملة التي لم أكن مستعداً لها:

"أنت السؤال الذي قررت الفكرة أن تجيب عليه غير الزمن".

ساد الصمت.

ثم أضافت:
"ولهذا كل الأكوان تحاول نفس الشيء".

"أن تكتشف هل يمكن للسؤال أن يجد إجابته دون أن ينكسر".

وقفت.
والبحر خلفنا بدأ يعكس الضوء بشكل مختلف.
كأن الواقع نفسه بدأ يقترب من نقطة فهم.

ثم قالت فجأة:
"هناك شيء يجب أن تراه".

أخذتني إلى داخل المكتبة مرة أخرى.
لكنها لم تكن المكتبة التي رأيتها سابقاً.
ولا أي نسخة منها.

كانت فارغة.

إلا من غرفة صغيرة في الخلف.
بابها مفتوح.

دخلنا.

وفي الداخل...
كان هناك شخص يجلس على طاولة.

لم يكن باسم فرنسا.
ولا أنا.
ولا أي نسخة أعرفها.

كان شخصًا يكتب.
لكن ليس في دفتر.
بل في الهواء.

كل حركة من يده كانت تُنتج واقعًا جديدًا.

رفع رأسه.
ونظر إلينا.

وقال بهدوء:
"أخيرًا وصلتموا إلى الجزء الذي يبدأ فيه الفهم بالتعب".

تجمدت.

لأنه كان يعرفنا.
ليس كغرباء.

بل كشيء قديم جدًا.

"من أنت؟"

ابتسم.

ثم قال:

"أنا لست كاتب القصة".

"أنا أتر كل مرة حاولت فيها القصة أن تفهم نفسها".

ثم أشار إليّ.

وقال:

"وأنت... آخر محاولة ناجحة للفهم".

ساد الصمت.

ثم التفت إلى شام.

وقال:

"أما هي..."

"فهو السبب الذي يجعل الفهم مستمرًا".

وفي تلك اللحظة...

فهمت شيئًا مرعبًا.

أن القصة لم تكن عن حب.

ولا عن أكران.

ولا عن زنزانة.

بل عن شيء يحاول أن يفهم نفسه عبر شخصين لا يتوقفان عن اللقاء.

الفصل الثالث عشر

اللحظة التي لا تعود بعدها الأكوان

كان ينظر إلينا كما لو أننا لسنا جديدين عليه.
بل كأننا كنا دائماً جزءاً من طاولته.
جزءاً من فكرته.
جزءاً من لحظة لم تُكتب بعد لكنها موجودة بالفعل.

الهواء داخل الغرفة لم يكن ثابتاً.
كان يتغير مع كل كلمة.
كأن اللغة نفسها أصبحت مادة قابلة للتشكيل.

قال بهدوء:
"أنتم أخيراً هنا".

لم أسأله: هنا أين؟
لأن السؤال فقد معناه.

شام كانت تقف بجانبني بصمت.
لكنني شعرت أنها ليست متفاجئة.
كأنها وصلت إلى هذه اللحظة قبل أن أصل أنا بوقت طويل.

"من أنت؟"
كررت السؤال.

ابتسم.

ثم قال:
"السؤال القديم".

"الذي يطرحه كل باسم عندما يقترب من نفسه".

اقتربت شام خطوة.
وقالت بصوت هادئ:
"أنت لست كاتبًا".

هز رأسه.
"ولا أنفي ذلك".

ثم أضاف:
"أنا فقط الجزء الذي لا تستطيع الأكوان تفسيره عندما تصل إلى نهايتها".

شعرت بأن الغرفة تضيق.
ليس في المساحة.
بل في الفكرة.

"إذا كنت لست الكاتب... فمن الذي بدأ كل هذا؟"

نظر إليّ مباشرة.
ثم قال:
"أنت".

تجمدت.

"أنا؟"

هز رأسه ببطء.
"لكن ليس أنت الذي تعتقده".

أقترب.
ووضع يده على الطاولة.
وفي اللحظة التي لمسها فيها...
ظهرت تحتها طبقات من الصور.

زنزانة.
مكتبة.
بحر.
فرنسا.
أكوان لا تنتهي.

ثم قال:
"كل نسخة منك كانت تحاول أن تفهم لماذا لا تنتهي القصة عند الوصول".

"لكن الحقيقة"...

توقف.

"أن القصة لا تريد أن تنتهي أصلاً".

نظرت شام إليه مباشرة.
وقالت:

"بل تريد أن تلتقي بنفسها".

سكت.

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة.

"أخيرًا قلتها".

ثم التفت إليّ.

وقال:

"هل تعرف لماذا الرقم عشرون يتكرر دائمًا؟"

لم أجب.

قال:

"لأنها ليست مدة".

"بل مسافة بين لحظة فهم ولحظة إنكار".

ساد الصمت.

ثم قال:

"كل نسخة منكما تحاول أن تعبر هذه المسافة".

"لكن معظمها ينكسر في المنتصف".

نظرت إلى شام.

ولأول مرة لم أعد أراها كشخص فقط.

بل كشيء أكبر.
كفكرة تحاول أن تجد شكلها في العالم.

"وماذا عن هذه النسخة؟"

سألت.

نظر إلينا طويلاً.
ثم قال الجملة التي غيرت كل شيء:

"هذه ليست نسخة".

"هذه نقطة الإغلاق".

شعرت بشيء داخلي ينفتح.
ليس كإجابة.
بل كفراغ يستعد لئملأ بشيء أكبر منه.

ثم قال:
"كل الأكوان التي رأيتها..."
"كانت تحاول أن تصل إلى هذه اللحظة دون أن تدمر نفسها".

تراجع خطوة.

وأضاف:

"لكنها دائماً كانت تفشل".

"لأن أحدكما كان يهرب في كل مرة".

نظرت إلى شام.
"من يهرب؟"

صمتت لحظة.
ثم قالت بصوت منخفض:
"نحن الاثنين".

ثم أضافت:
"بطرق مختلفة".

شعرت أن شيئاً ما يتغير في الداخل.

كل الأكوان التي رأيتها...
لم تكن قصص حب فاشلة.

بل محاولات نجاة من نفس اللحظة.

"وماذا يحدث لو لم نهرب هذه المرة؟"

سألت.

نظر إلينا.
ثم قال بهدوء شديد:

"عندها... لن تبقوا باسم وشام".

"بل ستصبحان المعنى الذي كانت الأكوام تحاول الوصول إليه".

ساد الصمت.

ثم فجأة...

اهتزت الغرفة.

ليس كزلزال.

بل كأن الواقع نفسه فقد توازنه لثانية.

الصور على الطاولة بدأت تتداخل.

الزنزانة داخل المكتبة.

المكتبة داخل البحر.

البحر داخل الكتاب.

كل شيء بدأ يأكل نفسه.

شام أمسكت بيدي لأول مرة منذ بداية كل شيء.

كانت يدها حقيقية بشكل مخيف.

"هل تثق بي؟"

سألنتني.

لم أفكر.

"نعم".

ابتسمت.

ثم قالت:

"إذن لا تنظر للخلف".

ثم التفت إلى ذلك الرجل.

وقال:

"نحن نختار هذه النسخة".

أغمض عينيه.

ثم قال:

"إذا اخترتموها... فلا يوجد رجوع".

وفي تلك اللحظة...

اختفى كل شيء.

لا مكتبة.

لا غرفة.

لا صور.

فقط صوت واحد.

صوت يشبه بداية شيء جديد تمامًا.

ثم سمعت شام تهمس:

"أخيرًا... هذه هي اللحظة التي لم ننح منها في أي عالم".

ثم سکون.

الفصل الأخير

النسخة التي لم تهرب

لم يحدث انفجار.
ولا انهيار.
ولا صدمة كونية كما كنت أتوقع.
كل شيء اختفى بهدوء شديد... بطريقة تخيف أكثر من أي دمار.
كان الأكوان لم تمت.
بل قررت أن تتوقف عن الحلم.

فتحت عيني.
فوجدت نفسي في المكتبة.
فرنسا 2026.
لكن هذه المرة لم تكن مكتبة تحمل أثر الأكوان.
كانت مكتبة واحدة فقط.
حقيقية بشكل مؤلم.
الهواء ثابت.
الضوء طبيعي.
والبحر خلف الزجاج لا يحمل أي طبقات أخرى من العوالم.

شام كانت هناك.
لكنها لم تكن واقفة كما في المرات السابقة.
كانت جالسة.
تكتب.
ببطء.
كأنها لا تخاف من أن تنتهي الصفحة.

اقتربت منها.
ولم ترفع رأسها فوراً.
كأنها كانت تنتظر أن أصل أنا لا أناديها.

قلت بهدوء:
"هل انتهى كل شيء؟"

توقفت يدها عن الكتابة.
ثم قالت:
"لا".

رفعت رأسها.
ونظرت إليّ مباشرة.

"بل بدأ أخيراً".

جلست أمامها.
ولأول مرة لم أشعر أنني داخل لغز.
ولا داخل نسخة.
ولا داخل احتمال.

شعرت أنني داخل لحظة واحدة فقط.
لا تتكرر.

"أين الأكوان؟"

ابتسمت.
ابتسامة صغيرة جداً.

ثم قالت:
"تعبت من محاولتنا أن نشرح أنفسنا لها".

"فتركتنا".

صمت.

ثم قلت:
"إذن... كل ما رأيناه؟"

أغلقت الدفتر ببطء.

وقالت:
"كان طريقًا طويلًا فقط لنصل إلى هنا دون أن نضيع بعضنا".

ساد الصمت.
لكن هذه المرة كان صمتًا نظيفًا.
لا يحمل رسائل.
ولا تحذيرات.
ولا طبقات أخرى من الحقيقة.

فقط نحن.

"هل أنا الآن؟"
سألت.

نظرت إليّ طويلًا.

ثم قالت:
"هذه أول مرة تسأل السؤال الصحيح".

"وما هو الجواب؟"

وقفت.
ثم جاءت وجلست بجانبني.
قريبة بما يكفي ليختفي كل ما بيننا من احتمالات.
وقالت:
"الجواب ليس في من تكون".

"بل في من يبقى حين تتوقف كل النسخ عن المحاولة".

ثم أضافت بصوت أهدأ:
"وأنت ... بقيت".

لم أتكلم.
لأن كل شيء كان واضحًا بشكل يوجع.

ثم قلت:
"هل تذكرين ..."

توقفت.

ثم أكملت:
"الجملة؟"

نظرت إليّ وكأنها كانت تنتظرها منذ البداية.

"أي جملة؟"

أخذت نفساً.

ثم قلت:

"كأننا نعرف بعض منذ عشرين سنة".

ساد الصمت.

لكن هذه المرة...

لم يكن الصمت غموضاً.

بل امتلاء.

كان الجملة لم تعد سؤالا.

ولا لغزاً.

ولا أثراً من الأكوان.

بل ذاكرة أخيرة لم تعد تحتاج إلى تفسير.

شام أغلقت عينيها لحظة.

ثم قالت بصوت منخفض جداً:

"أتعرف ما كان الخطأ في كل الأكوان؟"

"كنا نبحث عن هذه الجملة في البداية..."

"وليس في النهاية".

ثم فتحت عينيها.
وكان فيهما شيء لم أره في أي نسخة من قبل.
راحة.

"في كل عالم... كنا نقولها عند اللقاء الأول".

"لكننا لم نفهم أنها ليست بداية".

"بل اعتراف متأخر جدًا بأننا تأخرنا عن بعض بما يكفي لنشعر أننا لم
نتأخر أبدًا".

سكتت لحظة.
ثم أضافت:
"عشرون سنة ليست وقتًا".

"هي المسافة التي يحتاجها شخصان ليكفا عن الهروب من أنهما يعرفان
بعض بالفعل".

شعرت أن صدري يضيق.
لكن ليس ألمًا.
بل امتلاءً لا مكان له.

"إذن... نحن هنا؟"

هزت رأسها.

"نحن هنا منذ أول مرة لم تكذب فيها على أنفسنا".

وقفت.

وفتحت باب المكتبة.

البحر كان أمامنا.

هادئًا.

حقيقًا.

لا يعكس شيئًا آخر خلفه.

ثم قالت:

"تعال".

خرجنا.

المطر بدأ خفيفًا.

والهواء كان باردًا بما يكفي ليجعل اللحظة حقيقية.

وقفنا أمام البحر.

جنبًا إلى جنب.

دون أي فكرة عن الأكوان.

دون أي خوف من النسخ.

دون أي شيء يراقبنا من الخارج.

فقط نحن.

ثم همست:
"هل تعرف ما الذي تغير؟"

قلت:
"كل شيء".

هزت رأسها.
"لا".

"شيء واحد فقط".

نظرت إليّ.
ثم قالت الجملة الأخيرة...
التي لم تعد لغزًا.
ولا فكرة.
ولا رمزًا.
بل حقيقة أخيرة لا تحتاج تفسيرًا:

"في هذا العالم فقط... لم نتأخر عن بعض".

وسكت البحر.

ولأول مرة...
لم يكن هناك عالم آخر ينتظرنا.